

## الفصل الحادي عشر

إن المؤرخين الباحثين في تاريخ الحبشان لفي خلاف شديد بشأن أصلهم ، وموطنهم الأول . ففريق يرى أنهم ساميون نشثوا في شبه جزيرة العرب . ثم هاجروا إلى الحبشة عن طريق باب المندب . ويدللون على رأيهم هذا ، ويتعصبون له . وفريق يرى أنهم حاميون سلكوا الطريق نفسه آتين من وراء شبه الجزيرة ، وأقاموا فيها ، أي في الجزيرة ، ما شاء الله أن يقيموا : وعمرها بعض ربوعها وشيدوا فيها مدنا عظيمة ، ترامت أطرافها حتى أصبحت مدنا في كل مدينة<sup>(١)</sup> .

ولا يعوز هذا الفريق الدليل على ما يزعمون !

ولكل من الفريقين بعض الحق ، ولرأيه نصيب من الصواب ، فإنه بعد الفحص عن ملاحظهم ، ولغاتهم ، وخلاتهم ، وصفاتهم ، ومعتقداتهم ، وأساطيرهم ، وبحث المستندات التاريخية القليلة<sup>(٢)</sup> التي عثر عليها المنقبون في بلادهم ، وضع أنهم من أصل حامى<sup>(٣)</sup> ، غمرتهم موجات سامية<sup>(٤)</sup> عدة آتية من وراء البحر الأحمر ، فتأثروا بها في الدم ، واللغة والعادات ، والتقاليد ، أيما تأثر ، حتى أصبحوا ، في رأى

( ١ ) هذه إشارة إلى ما بنته عاد من مدن وقلاع وحصون ، سارت بذكرها الركبان ، ونوه بها القرآن : لأن بعض المؤرخين يرى أن قوم عاد من نسل حام .

( ٢ ) لم يعثر في الحبشة إلا على آثار قليلة ، أهميتها التاريخية ضئيلة .

( ٣ ) يرى سليجان ، في كتابه أجناس إفريقيا ، أن سكان الحبشة خليط من الحاميين والزنوج ونسبة الحاميين ٨٠ ٪ . ، وأن هذا المزيج مخفف بعنصر سامي ، يميل كثير من العلماء إلى المبالغة في مقداره ، لعظم أثره في ثقافة السكان .

( ٤ ) لا تزال هذه الموجات السامية تحدث من غير توقف . « ولا أدل على ذلك من هجرة اليمنيين والحضارة المستمرة إلى الحبشة ، واستقرارهم في أبنحائها المختلفة وبخاصة في المدن ، حيث يشتغلون بالتجارة . وعدددهم أخذ في الزيادة . ولقد حدثت هجرات جماعات كبيرة ، كما حدث في سنة ١٨٦٩ م . ففي هذه السنة وصل نحو ٨٠٠ نفس من قبيلة الرشايدة من الجهات الواقعة بقرب من جدة ، وحلوا في الساحل العمالي من ارتريا ، انتهى : كامل .

فريق من العلماء ( وهم جمهرة الفريق الأول ) ساميين أكثر منهم حاميين :  
ولم يتعفف الحبشان في كل العصور عن الاختلاط بسكان البلاد الأوائل  
( الشنكلا ) ، ففسروا بناتهم ، اللآئي أثرن في ذراريهم أثراً نلمسه في ألوانهم السوداء ،  
وملاصحتهم الشنكلاوية ، وشعورهم الصوفية .

ويزعم بعض المؤرخين أن من القبائل الحبشية من يشبهون سكان مصر في عصر  
ما قبل الأسرات : وأن هذه القبائل كانت تسكن الحبشة منذ القرن الحثين قبل  
الميلاد . ولكن هؤلاء المؤرخين ، لا يعلمون ، علم اليقين متى وفدت هذه القبائل  
على الحبشة أول مرة ، ولأ من أين جاءوها .

ويحاول المؤرخون الحبشان عبثاً تبديد الظلام الدامس ، الذي يخيم على تاريخ  
بلادهم ، في عصوره الأولى .

على أنه من الحقائق الثابتة ، لدى المؤرخين الغربيين وجود علاقة وثيقة بين مصر  
الفرعونية ، وبعض أقطار الحبشة الشمالية ، أو أثيوبيا . فقد جاء المصريون إلى تلك  
الأصقاع البعيدة ، وتسلطوا عليها ، وكشفوا فيها الذهب والنحاس ، وساقوا إليها زمرأ  
من الأسرى ، والأرقاء لاستخراجهما . . . . . وعاد إلى مصر  
بعض أوائلك الأسرى وتخلف كثير منهم ، واتخذوا الحبشة وطناً . ولا تزال ذريتهم  
مقيمين فيها ؛ ويسمون الجوارج<sup>(١)</sup> تعرفهم بملاصحتهم المهذبة ؛ التي تم عن أصل أوروبي ؛  
أو أسيوي غير سامي . وباختلاف ألوانهم عن ألوان القبائل ؛ التي تحيط بهم . وبينما  
نظام الري والزراعة عندهم ؛ يختلف جد الاختلاف عن أي نظام آخر للري والزراعة  
في الحبشة ؛ لا يزال شديد الشبه بنظام الري والزراعة عند قدماء المصريين .

(١) يسكن الجوارج في الجهات الجبلية الوعرة ، الواقعة جنوب غربى أديس أبابا وهم مشهورون  
بالجد والنشاط . ومع ذلك فهم أقل ثراء من جيرانهم العروس ، إحدى قبائل الجلا ، وذلك لقلة  
خصوبة أرضهم الأمر الذى يدفع بهم إلى ابتغاء الرزق في العاصمة . ولا تراهم فيها إلا حالين ،  
أو حطابين ، أو سفائين ، أو مقتوين ، أو كادحين في تعبيد الطرق وإصلاحها .

والذي يزيد تاريخ الحبشة غموضاً ، استعمال الاسمين ، الحبشة وأثيوبيا ليدلا على مدلول واحد . فالحبشان يطلقون كلمة أثيوبيا على بلادهم ، في حين يطلق مؤرخو العرب لفظة الحبشة عليها ، ويطلقون لفظة أثيوبيا على شمال السودان الشرقي ، وبخاصة على جزيرة مروى ، الواقعة بين البحرين الأزرق والعبقرة . والتي كان ولا يزال يسكنها قبائل من الزنوج ، وأشباه الزنوج ، الذين كانت تسيطر عليهم مصر من قريب أو بعيد .

ومما لا ريب فيه أيضاً اتصال الحبشة ببلاد العرب ، اتصالاً وثيقاً . وإن وجود النقوش الحيرية في بعض جهات الحبشة ، ليدل دلالة قاطعة ، على ما كان بين هذه الجهات ، وبلاد سبأ أو حمير من علاقة متينة ، حملت بعض المؤرخين على الاعتقاد بأنهما كانا جزءين من إمبراطورية عظيمة واحدة <sup>(١)</sup> .

وفي خزائن الحبشة قائمة بأسماء الملوك الذين تبوءوا عرش الحبشة ، من عهد من يسمونه آرام أحد ولد آدم ، وهو الذي يزعمون أنه حكم الحبشة ستين سنة ونيفاً . ( ٤٥٣٠ ق م — ٤٤٧٠ ق م ) إلى عام ١٧٧٩ ق م . وتحوى أسماء ٣١٢ ملكاً . وهي أشبه بالقائمة التي كتبها ماثون المصري غير أن هذه القائمة الحبشية لا يعتد المؤرخون بها ، ولا يثقون بصحتها ، لما وجدوه فيها من خرافات ، وخط ، وتكرار في أسماء الملوك . فوق أن الحقائق التاريخية — إن جاز لنا أن نسميها حقائق — التي تذكرها ضئيلة ، مبهمة غير متصلة الحلقات فلا تصلح والحال هذه للاعتماد عليها في كتابة تاريخ مفصل واضح . وأول حادث في تاريخ الحبشة ، يستحق الذكر ، هو سفر الملكة مكدة أو بلقيس إلى سليمان بن داود .

وقد فصلنا في الكلام عن الفلاشة ما كان من أمر سفر بلقيس أو مكدة

---

(١) وهذا هو السبب في الخلاف الشديد في قصة بلقيس ملكة سبأ فالحبشان يزعمون أنها حبشية وأنها أم ملوكهم بينما يزعم العرب أنها يمنية سبأية وقد فصلنا ذلك .

إلى أورشليم ، وزواجها من سليمان ، وسفرها إلى مقر ملكها ، وسفر ابنها منليك إلى دارة ملك أبيه سليمان ، ورجوعه مع أبناء إسرائيل الأبنكار إلى الحبشة<sup>(١)</sup>.....  
ولقد تعرضت الحبشة في ذلك العهد لغزوة سامية كبيرة تأثرت بها أيما تأثر .  
وربما كانت هذه الغزوة منشأ قصة قدوم بني إسرائيل إلى الحبشة .  
ولقد تكررت غزوات الساميين ، وهجراتهم إلى الحبشة ، فتأثرت بهم ، كما قدمنا ،  
في الدم ، والدين ، والعادات .

وسرت على الحبشة بعد ذلك دهور ، لا يعرف من أخبار أهلها ، إلا نذراً قليلاً  
وكانت في أثنائها متصلة بمصر اتصالاً نلمحه من نقوش ، وجدت على لوحة من المرمر  
كشفت في إحدى موانئ البحر الأحمر ، في القرن السادس ، خلاصتها أن بطليموس  
الثالث ، عاقل مصر ( ٢٤٦ ق م — ٢٢١ ق م ) فتح بلاداً واسعة في آسيا ، مستعينا  
بثلة من الفيلة ، كان قد اصطادها بنفسه من بعض أنحاء الحبشة ( أثيوبيا ) ، ودرجها  
بعد ذلك على القتال في مصر .  
يلي هذا ظهور دولة أكسوم في القرن الثاني الميلادي ، في شمال الحبشة . . . . .

---

(١) ومن غريب ما يروى عن منليك الأول ، وهو أقرب إلى الخرافة منه إلى الحقيقة ،  
أن منليك قبل أن يغادر أورشليم إلى الحبشة ، سرق تابوت العهد ، وحمله معه . وحينما كشف  
الإسرائيليون أمر السرقة ، أرسلوا الخيل وراء منليك لرد التابوت . فلما أوشكت أن تلحق به ،  
نشقت الأرض أمام منليك وصحبه ، فزلوا في جوفها ، ونفذوا إلى الحبشة ، سالكين سرداباً ،  
تحت البحر الأحمر . ولكنهم لما وصلوا إلى فوهة السرداب ، من ناحية أرض الحبشة ، انزلت  
صخرة كبيرة من مكانها ، وهوت إلى فوهة السرداب ، فسدتها بعد أن سقط التابوت من حامله  
الذين نجوا بأنفسهم ، فدفتته الصخرة . وحاول منليك وصحبه لإخراج التابوت ، فلم يقلحوا ، ورجع  
منليك إلى أمه غضبان أسفاً .

ولا يزال كثير من الحبشان يعتقدون أن التابوت ما برح مدفوناً تحت الصخرة التي غطت فوهة  
السرداب بعد خروج منليك وصحبه .

(٢) يرى بعض المؤرخين أن دولة أكسيوم قامت على أقطاب دولة بنت ، أرض آلهة مصر  
القديمة المقدسة ، كما قامت الحبشة الحديثة على أقطابها . وذلك الفريق من المؤرخين يخالف من يرى  
أن بنت في بلاد العرب أو في الصومال الجنوبي .

ولقد ضربت هذه الدولة بسهم في المدنية ، وبلغت شأواً عظيماً من القوة والمنعة .  
ولقد قام الملك إيزانس ( Aeizanes 033 A. D. ) أحد ملوكها بفتوحات ، وسع  
بها رقعة ملكه ، وفي عهده اعتنق الحبشان الديانة المسيحية . وفي عهده أيضاً ، غزت  
جيوش أكسوم اليمن ، وأخضعتها . ولا نعرف على وجه التحقيق كيف تم الغزو ،  
ولا كيف أفلتت اليمن من قبضة أكسوم أول مرة .

وفي سنة ٥٢٠ م استصرخ ملك أكسوم نصارى نجران ، وكان ذو نواس ملك  
اليمن قد قتل ملكهم ، وسرقة قومهم وعذبهم عذاباً لم يعذبه أحد ، فأرسل ملك  
أكسوم جيشاً جراراً ، تحت قيادة أرباط ، يؤاذهه أبرهة الأشرم ، فهزم ذو نواس ،  
واقتمح البحر بجواده مفضلاً الفرق على أسر السودان .

وملكت الحبشة اليمن ، وكان ما كان من أمر قتل أبرهة أرباط ، وبنائه الكنيسة  
بصنعاء لصرف الناس إليها ، وصددهم عن حج البيت المحرم ، وتغيظ عرب اليمن  
من ذلك وإحداثهم فيها ، وغضب أبرهة ، ومسيره بجيشه وفيه لهدم الكعبة ، وإصابة  
جيشه بوباء فانتك<sup>(١)</sup> ، وسيل عمرم ، وهلاك خلق كثير منه ، ورجوع أشلائه مدحورين  
ولم يلبث أن طرد الحبشان من اليمن ، على يد سيف بن ذى يزن بمساعدة الفرس  
سنة ٦٠١ م<sup>(٢)</sup> .

. . . . . ولقد اتصلت الحبشة بالدولة الرومانية في عهد الامبراطور جستنيان .  
وكان ذلك في أثناء سيطرة الحبشة على اليمن . وإن هذا الاتصال ، وهذه السيطرة  
دعت الحبشان إلى ركوب البحر والصبر على أخطاره ، والاشتغال بالتجارة مع الأمم  
المطلية على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وامتداد نفوذهم إلى بلاد الهند .

يتلو هذا العصر عصر اضطراب وانحطاط وخول ، يخيم في أثناءه ظلام دامس  
على شئون الحبشان المختلفة ، ذهب بتفاصيل أحوالهم .

وقد انجذب هذا الظلام في القرن العاشر، فلمحنا الفلاشة الذين طوردوا من أوطانهم من قبل إلى جبال سمين ، يهبطون من معاملهم، ويهزمون الحبشان ، ويقتلون أسراهم ويفتصبون الحكم ، كما قدمنا .

ودالت دولة الفلاشة بعد ستين سنة ونيف ، على يد مفتصب من مقاطعة لستا ، ولا يعنينا ممن تملك بعده من عترته إلا الملك لاليبالا ، فقد كان ملكاً هماً ، ومن آثاره الكنائس المسماة باسمه ، المنحوتة في الصخر الأصم . وإنه يؤثر عنه محاولته تحويل النيل الأزرق عن مجراه الأصلي ، ليصرفه عن النيل كيداً في المصريين .  
وفي عهد الدولة اللستوية كان الملوك الشرعيون من آل سليمان يحكمون في الجنوب ومقرهم مقاطعة شاوة .

ومن المستغرب ألا تحدث حروب أهلية بين البيتين المالكين ، فلم يحاول البيت الشرعي استرجاع ملكه المسلوب ولم يحاول البيت الغاصب ضم المقاطعات التي لم تنضو تحت لوائه .

واستمر هذا الحال حتى سنة ١٢٦٠ م ، وفي أثناءها تنازل ناكتيتولاب اللستي ليا كونو أملاك ، ملك شاوة ، وحفيد سليمان عن كل حق في ملك الحبشة ، فأصبح أملاك إمبراطوراً للحبشة كلها . ولقد تم ذلك ، كما يزعم الحبشان من غير قتال ، على يد قديس الحبشة المشهور تكلاهيمانوت الذي أقنع الفريقين بقبول الشروط الآتية :

- ١ — أن يتنازل ناكتيتولاب عن عرش الحبشة ليتولاه الملك الشرعي يا كونو أملاك .
- ٢ — أن يحتفظ ناكتيتولاب بملك لستا ، إحدى ولايات الحبشة الشمالية ، له ولعترته من بعده ، وبحق الجلوس على الكرسي الذهبي ، واستعمال الطبول الفضية وهذان حقان لا يتمتع بهما إلا إمبراطور الحبشة ، وأن يعفى من كل جزية أو خراج .
- ٣ — أن يكون للكنيسة ثلث أرض الحبشة .
- ٤ — ألا يكون أبونا ، أوراخي الكنيسة الحبشية حبشياً .

وعلى الرغم من غرابة هذه الشروط ، فإنها نفذت بأمانة وإخلاص ، وظلت نافذة نحو خمسة قرون .

ويميل المؤرخون إلى الرأي القائل، إن يا كونوأملاك تبوأ عرش أجداده بالطريقة المألوفة . وهي القتال ، وإنه قهر خصمه ، وإنه أسفر بينهما القديس تكلا هيانوت ، فتنزلا على الشروط التي اقترحها حقناً للدماء .

ومها تكن الظروف والملابسات ، التي استرجع فيها بيت سليمان ملكهم المسلوب وحقهم الشرعى ، فإن الحقيقة الثابتة أنهم استرجعوهما ، بعد أن فقدوهما ، زمناً طويلاً . ولا يزالون يحتفظون بهما حتى الآن .

ولكن الحبشان ، ما كادوا يلمون شعهم ، ويوطدون ملكهم حتى ألفوا أنفسهم مضطرين إلى القتال ، وهم مولون ظهورهم نحو هضبتهم الوسطى . إذ أن انتشار الإسلام في السهول الساحلية للبحر الأحمر والمحيط الهندي ، مهد السبيل إلى قيام دول إسلامية في تلك الجهات من إفريقية تضافرت على غزو الحبشة .

ولقد خاض خلفاء أملاك حروباً طاحنة مع المسلمين ، سالت فيها الدماء أنهاراً ، وطرده في أثنائها بعضهم شرطردة ، وأشهر أولئك الملوك ، الملك أمداسيون الأول الذى أبلى في هذه الحروب ، بلاء حسناً ( ١٣١٢ م — ١٣٤٢ ) ، وظهرت شجاعته في وقائع عدة ، وخر صريماً آخر الأمر في ميدان القتال ، بعد أن دفع الغزاة عن بلاده . وتمتعت الحبشة بمد ذلك ، بفترة من الهدوء النسبي ، دامت إلى آخر القرن

الخامس عشر . ولكن ما كاد يبزغ فجر القرن السادس عشر ، حتى انهالت على الحبشة المصائب . واصطلحت عليها الكوارث . فالعثمانيون الذين كانوا قد فتحوا مصر<sup>(١)</sup> واليمن . رأوا أن يجعلوا من البحر الأحمر بحيرة عثمانية . فاستولوا على زيلع وأمدوا سكانها المسلمين بالسلاح والذخيرة . ومعدات الحرب الأخرى ، وبجنود من مختلف

أجزاء الإمبراطورية العثمانية من عرب وانكشارية ، وسلطهم على الحبشان وبذا بدأت الحروب الشعواء ، التي ظلت محتدمة بين الحبشان والمسلمين فترة طويلة من الزمن ، قتل فيها من سكان الحبشة خلقاً كثيراً ؛ وقد فصلناها في غير هذا المكان من هذا الكتاب .

.....

وما كادت تهدأ عاصفة المسلمين حتى انقضت على الحبشان جموع الجلا ، انقراض الذئاب على النعاج . وساروا في الحبشة من نصر إلى نصر ، يحتلون ولاية إثرو ولاية ، ويقتلون الناس ويدمرون القرى ، ويحرقون الكنائس ، بعد نهب ما فيها ، من فضة وذهب ، وذخائر أغلى عند الحبشان ، وأعز عليهم من الفضة والذهب .

وفي أثناء هذا الهول ظهرت شجاعة الملك داود ( ١٥٠٨م — ١٥٤٠م ) الذي صمد صمود الصخر ، لهذا السيل الجراف . ولم يتسرب اليأس إلى قلبه الشجاع ، برغم ما لقي من الهزائم . وظل ينفخ في قومه روح المقاومة ، ولم يفقد الأمل في النصر آخر الأمر ، على الرغم من قتل ابن له ، وأسر آخر ، وتشتيت شمل جيشه ، ومطارده من محباً إلى محباً ، ومن أجمة إلى أجمة ، كما تطارد الفريسة .

ظل هذا الملك الشجاع على هذه الحال التعسة ، حتى وافاه الأجل . ولكن نفسه النبيلة بعثت في الحبشان روح المقاومة والتضحية ؛ فتغلبوا آخر الأمر ؛ على الغزاة الفاتحين .

.....

ولقد تعرضت الحبشة ، بعد ذلك ، إلى غزو من نوع آخر ، فانها ما كادت تحل مشكلة الجلا ، حتى داهمتها جيوش من نوع آخر ، جيوش البعثات الدينية ، وكان معظمهم من البرتغاليين ، حلفاء الأمس ، الذين لم يقنعوا بكثلكة بعض الحبشان ، ولكنهم حاولوا أن يخلطوا السياسة بالدين ، والسلطة الزمنية بالسلطة الدينية ، وقد أحرز البرتغاليون بعض النجاح في بادئ الأمر ، ولكن سرعان ما تبين للحبشان

الخطر الذي أوشك يهدد كيانهم القومي، وطلبوا ملحين، من حكومتهم طرد المرسلين الأجانب، فأسروا بمغادرة البلاد، ومن رفض منهم ذلك قتل. وبذلك أوصدت أبواب هذه الدولة العتيقة، في وجه فنون أوربة وعلومها، وتعصبها المقوت. . . . . وظلت الحبشة، بعد ذلك في حرب عوان مع الصومال تارة، ومع الجلا تارة أخرى. . . . . ولكنها لم تستطع استرجاع سواحلها التي انتزعت منها وذلك لتخاذها وانقسامها الداخلي.

وما وافت سنة ١٧٦٩ م حتى أصبح النجاشي أو ملك ملوك الحبشان كمثل خلفاء بني العباس، في زمن اضمحلال دولتهم، تجبى الحبشة جميعاً باسمه، ولا يصل إلى يديه شيء مما يجبي.

وفي سنة ١٨٠٠ تسلمت مقاليد الأمور أسرة جلوية على الرغم من وجود براطرة شرعيين من أسرة سليمان، يولون ويعزلون. أو يقتلون كما يشاء لهم الفاصبون. واستمرت هذه الحال السيئة حتى منتصف القرن التاسع عشر، حين بدأت دول الغرب تفرع أبواب الحبشة، وتلح في قرعه وتدمن، حتى فتحت لها على مصاريعها، وبدأت تعقد المعاهدات بينها وبينهم، بدأتها بريطانيا العظمى، وقفت إثرها فرنسا. . ولم تؤد تلك المعاهدات إلى تحسن الحال، بل زادت سوءاً، على سوء، مما دعا إلى ظهور رجل الساعة، الإمبراطور تومروس أوكاسا، ذلك الحبشي العظيم الذي آثرنا أن نكتب تاريخ حياته مفصلاً، لأننا رأينا فيه قصة رائعة، وصورة حقة لحياة الحبشان في عصره، والعصور السابقة له، واللاحقة به.

ولد تيودور، أوتومروس في سنة ١٨١٨م في قارا، وهي مقاطعة صغيرة في غرب أمهرة. وكان أبوه، هايلو ولد جرجس رقيق الحال، خامل الذكر، ولكنه كريم العنصر، ولاغرو فهو سبط لسليمان بن داود.

ومات أبوه وهو دون العاشرة، ولم يترك له إلا قليلاً من المال، اغتصبه منه

أقاربه . فاضطرت أمه إلى كسب قوتها ، وقوت اليتيم كاسا ، ببيع زهر الكوسو ، وهو نبات ينمو في قمم جبال الحبشة ، يستعمله الحبشان دواء لمرض المدودة الوحيدة المنتشرة بينهم انتشاراً سريعاً . ولم تلبث أن أرسلت الأم وحيدها ، وهي كارهة إلى دير غربي جندار .

ولم يطل مكث اليتيم في الدير ، فقد هاجمه بعض الثوار . وحرقوا أكواخه ، وقتلوا معظم الفتيان اللاجئين . ونجا الفتى كاسا بأعجوبة ، إذ لاذ بالفرار تحت جناح الظلام والتجأ إلى بيت عمه<sup>(١)</sup> . وكان عمه من زعماء الحبشان الأقوياء . وكان بيته مباءة العصاة ، والفارين من وجه العدالة ، والناقين على الرؤوس ، والمترصدين للتجار وقطاع الطرق . فكان يلذ للفتى كاسا الاستماع للقصص التي كانوا يقصونها عن أعمالهم الجريئة . وقد صحبهم في بعض مغامراتهم . وكانت نفسه عصامية ، فسودته فيهم ، وعلمته الصبر والشجاعة والكر والإقدام . وأكسبته محبة رئيسه ، واحترام جنوده وأتباعه .

ولكن شاء القدر القاهر ، والجد العاثر ، أن يموت عمه ، وأن يحرم عطفه وحده . وأعقب عمه ولدين ، خلفاه في الحكم ، لم يلبث أن دب ديب الخلاف بينهما فتنازعا ، ففشلا ، فذهبت ريحهما ، وتفرق أنصارهما . وكان رأس داموت وجوجام واقفاً لهما بالمرصاد ، فانتهاز فرصة ضعفهما وغزا أرضهما ، وداست سنايك خيله أشلاء رجالهما .

وفر كاسا بعد أن اشترك في الحرب ، وأبلى فيها بلاء حسناً ، وقاتل قتال الأبطال المغاوير ، وتبعه الأعداء ، ابتغاء القبض عليه ، والتنكيل به فلجأ إلى كوخ فلاح ، فأجاره . وأحسن مثواه ، وآواه إلى أن انقطع عنه الطلب .

وحفظ كاسا لذلك الفلاح صنيعه ، وجزاه أحسن الجزاء . فقد زعموا أن كاسا

(١) كان حاكماً لدنبة وقارا وتشلجا ، الواقعة بين بحيرة تانا وحدود الحبشة الغربية .

حين بسم له الحظ ، وحال حاله ، وأصبح قائداً في جيش الملكة زيرومنن ، أرسل إلى بلد الفلاح ، على رأس كتيبة من الجنود ليخضع أهلها ، وكانوا قد شقوا عصا الطاعة فما كاد يصل هو وجيشه أطراف البلد ، ويسمع الثوار باقترابه ، حتى شملهم الخوف ، وتملكهم الفزع ، لما عرف عنه من قسوة وجبروت ، وأسلموا أمرهم إليه . ففرض على كل ثائر أن يضيف عدداً من جنوده في بيته ، يقدم لهم ما يشاءون من طعام ، إرهاباً لهم وإمعاناً في إذلالهم . وأرسل ثلثة من الجنود إلى الفلاح جار كاسا ، فأبى واستكبر ، ورفض قبولهم ، فقبض عليه ، وحجى به إلى كاسا مكبلاً بالحديد ، فلما رآه عرفه . وقام له فخل وثاقه ، وأكرم مشواه ، وأجزل له العطاء<sup>(١)</sup> ، ونصبه شوماً على بلده .

نرجع إلى قصة كاسا الذي هام على وجهه ، بعد مغادرته بيت الفلاح . وأخذ يجوب التلال والأودية حتى التقى بعصابة من اللصوص ، فالتخرط في سلكهم . ولم يلبث طويلاً حتى أصبح زعيمهم الذي لا يعصى له أمر . وكان شديداً على أتباعه ؛ صارما في معاملتهم . فلوا عشرته ؛ وود فريق منهم لو يتخلصون منه ؛ فتآسروا على قتله . ولكن كاسا علم بما دبروا ؛ فأفسد عليهم تدييرهم ؛ ونكل بهم . ولم يرض طويلاً زمن على هذا الحادث ، حتى انضم كاسا وأتباعه المخلصون إلى عصابة أخرى ، فأصبحت العصابتان ذعر التجار المسلمين ، الذين كانوا يترددون بين وشى في الحبشة والتممة في السودان .

وسم كاسا حياة الشطارة واللصوصية ، فترك رفاقه ورجع إلى مسقط رأسه ، وخلد إلى حياة الدعة والشرف .

بيد أن شهرته المستطيرة ، وصيته الذائع ، جعل أفئدة من الناس تهوى إليه . وما أن كثرت أتباعه ، وأحس بالقوة حتى رفع علم الجهاد لرفع الظلم السائد وقتذاك . وكانت زيرومنن ملكة على جميع الأقطار الحبشية ، غربي نهر تكازا فنى

(١) ووجه عشرين ريالاً ، وثمانية نيران ، وثمان بقرات ، وثمانية أعبد وثمان جوارى .

إليها خبره ، فأوجست منه خيفة ، ووقر بغضه في قلبها ، وأعدت لخر به جيشاً لجباً ، وأرسلته على جناح السرعة ، لإخماد ثورة ابن بائعة الكوسو والقبض عليه .  
والتقى الجيشان ، واحتدم القتال ، وثبت كاسا وجنوده ، وانهمز جيش الملكة شر هزيمة .

فعمدت الملكة ، وكانت داهية ماكرة ، إلى اللق والدهان ، واستدعته إليها في لين ورفق ، مستعينة بزخرف القول وزوره ، ولكن كاسا رأى الغدر بين طيات دعوتها فقابلها بالمطل والتسويق .

فلما خاب مسمى الملكة ، لجأت إلى الختل والخداع ، فزوجته حفيدتها ، وأوصتها باغتيالها ، ولكن حفيدتها أحبت زوجها ، وأخلصت له ، فخاب لذلك تديرها .

وانهمز المسلمون فرصة الفوضى ، واضطراب الحال في الحبشة ، ففزوا أطرافها الشمالية الشرقية ، فأرسلت الملكة كاسا على رأس جيش عظيم لطردهم الغزاة ، فخانته الحظ ، ودارت الدائرة على جيشه ، وجرح هو جرحاً بليغاً ، فتحمل به وذهب إلى طيب معروف ، فطلب منه الطبيب ، وكان محباً للمال ، بقرة ثمينة حلوباً ، وجرة كبيرة ملأى من الزبد ، فأرسل كاسا رسولا يطلب من الملكة أجر الطبيب الطماع ، فلم تذكر حسن بلائه ، بل ذكرت حقدتها وحنقها عليه ؛ فأرسلت له فخذ بقرة ، ورسالة ، تسخر فيها منه ، وبما جاء فيها « إنك لا تستأهل بقرة كاملة فترسلها إليك » . فتلقى كاسا هذه الإهانة صابراً ، كاظماً غيظه ، وما كادت تلتئم جراحه ، حتى أسرع إلى قارة حيث جمع أتباعه المخلصين ، وسار بهم نحو دنبة وجندار ، فأرسلت الملكة جيشاً قوياً للقائه ، مزوداً بكامل العدد والعدة ، ولكن ينقصه القائد المحنك الجريء . وتقابل الجيشان على مقربة من تشاكو . وهزم الملكيون ، وولوا الأدبار ، بعد أن قتل كاسا منهم خلقاً كثيراً ، واستولى على أكثر من ألف بندقية .

ووقع في أسر كاسا أحد قواد الملكة ، وكان قد تمهد أمام مجلس الحرب الذي

عقد في جندار للبحث في أمر القضاء على كاسا وجنوده ، أن يأتي بابن بائمة الكوسو حياً أو ميتاً وكان قد انتهى خبر ذلك إلى كاسا . فأرسل في طلبه . ولما مثل بين يديه ، قدم له كأساً مملوءة من شراب الكوسو ، وقال له «تقبل هذه الكأس» منى ، بدلا من الطّف طعام عشائك ، لأن والدتى لا تتبع اليوم كوسو .

وجمعت الملكة جيشاً عرمرماً ، وقادته بنفسها وهاجمت جيش كاسا ، بعزم وقوة وشجاعة نادرة ، فاكسحت أمامها كل شيء ؛ ولكن قوادها كانوا دونها في الحزم والشجاعة ؛ فلم يحسنوا قيادة فرقهم ؛ ولم يستفيدوا من كسبهم المعركة الأولى . وانتهت الموقعة بانتصار كاسا ، ووقعت الملكة القدمة أسيرة في يده .

وعقد صلح بين كاسا وحميه الرأس على ابن الملكة ؛ أم شروطه أن يمنح كاسا لقب ديجاتش ؛ ويعين حاكما من قبل الملكة على المقاطعات التي أخضعها .

ولكن هذا الصلح لم يدم طويلا ؛ لأن الملكة لم ترع شروطه فخلعت كاسا من منصبه . فانطلقت الحرب الأهلية من عقابها ، وأمعن الناس في السلب والنهب ، واختل الأمن ؛ وأصبح لسان حال الناس : أنج سعد فقد هلك سعيد .

وفي دنبعة وقعت موقعة ، استمات فيها الفريقان وظهرت فيها شجاعة الرأس على ، ولكن خانة المجال ، وعثر به الجدد ، فهزم جيشه ، وفر هو على وجهه ، وظل ابن الملكة طريدا طول حياته .

أما اليتيم المشرد ، الذي طرد في ربيع حياته شرطرد ، فإنه أصبح الآن قاب قوسين أو أدنى من أن يكون صاحب تاج ، ورب مملكة .

وبعد أن نصر كاسا هذا النصر المؤزر ؛ سار بجيشه إلى جوجام لقتال بير وجوشر وكان من ألد خصومه ؛ الذين تناولوا عرضه ؛ وسلقوه بالسنة حداد . ولم يدم القتال إلا ريثما يستقر رأى العدو على أية جهة يولى إليها دبره . وجاء بير وكاسا يحمل حجراً ؛ مستغفراً لما فرط منه في حقه .

فقال له كاسا ؛ وهو يحاوره : « ماذا يكون جزأى عندك لو أن الحظ بسم لك ؛  
والنصر وافاك » .

فقال بيرو « الموت » .

وئارت نائرة أتباع كاسا ؛ وهما يقتله ؛ لولا أن حال كاسا بينه وبينهم . وكانت  
دهشتهم عظيمة حين غفر له ذنبه .

وجاءه خلاصاؤه يجرون ؛ وأخبروه أن زوجة بيرو اعتصمت بقلعة منيعة ؛ وصدت  
عنها جيش كاسا .

فأرسل كاسا إليها رسولا يخبرها بين أمرين ، لا ثالث لهما : قتل زوجها أو تسليم  
القلعة .

فرضيت الزوجة الشجاعة بتسليم القلعة ، على ألا يرد عليها زوجها الجبان !  
و بتسليم القلعة أصبحت معظم ولايات الحبشة تحت إمرة كاسا ، وأصبح ملك  
الحبشة كلها في متناول يده .

وشناه الرأس أوبى . وجمع جموعه ، ووقف له في منحدر من منحدرات جبال سمين  
فسار إليه كاسا . ولما رأت جنود كاسا ، ما أعد لهم ديجاتش أوبى من قوة ؛ جبنوا ،  
وخافوا ، وأحجموا . فوقف كاسا هنيهة مشدوها ، لا يجير خطابا . ولكن سرعان  
ما تاب إليه رشده . فتقدم إلى ربوة . واعتلاها . وخاطب جنوده بقوله :

« يا أبطال دنبة وجندار ! أبعد وقائنا البيضاء ، وفتوحاتنا العظيمة ، تصدمكم  
هذه الجبال الشم . ويثبط عن يمتكم بردها ، وتذهب بشجاعتكم تلك المدافع المحشوة  
بالبارود ؟ اتبعونى ، وسيصبح اسمى بعد اليوم تاو زروس لا كاسا » .

وما كاد كاسا ينتهى من خطبته ، حتى دبّ الحماس فى نفوسهم ، وسرت الحمية  
فى عروقهم . وهجم كاسا أمامهم فاندفعوا وراءه . وقابلهم العدو بعزيمة صادقة . وقذائف  
محكمة التسديد ، وبحراب تحطم الصدور ، وتنتظم الأفئدة . وثار غبار كثيف لا يستبين

الحاربون منه إلا وميض القذائف ، وبريق الأسنة ، ولا يستمعون إلا قعقة السيوف ، وجلجلة الحراب ، عند اصطدامها بالدروع ؛ ودوى المدافع ، وأنين الجرحى ، وصياح بعضهم في وجوه بعض . وكانت هذه الأصوات جميعها إذا ما اصطدمت بصخور سمين ، انكفأت راجمة وسمعت أصداؤها أقوى وأرهب .

كان هذا اليوم من أيام الحبشة البلق المشهورة ، احتدم فيه القتال ، واستبسل الفريقان حتى آذنت شمسها بالمغيب . وقد أظهر ديجاتش أوبي من ضروب الشجاعة والحيل الحربية ، والبصر بأمور القتال ما كاد يتم معها النصر له . ولكنه كان طاعناً في السن فتسرب إلى أعصابه التعب فأنهكها . فمهذ بالقيادة لبعض خلصائه وانتحى جانباً ليستريح قليلاً . فكشف أمره بعض أتباع كاسا فباغتوه وأسروه . ولما علم جنوده بذلك ، دب فيهم الذعر ، وتملكهم الخوف وفر بعضهم ، واستسلم البعض الآخر ، وغنم كاسا أربعين ألف ريال ومدفعين وسبعة آلاف قذافة ، وآلافاً عدة من السيوف والحراب ، وغير ذلك من عدد الحرب .

وبعد فراغ كاسا من أمر أوبي ، سار إلى بلاد الجلا فهزمهم وشرذ جمعهم ، فاعتصمت فلولهم بالجبال .

ولم يبق في الحبشة بعد ذلك إلا مملكة شاوة . وعلى الرغم من أن جند شاوة كانوا يحتقرون ابن بائعة الكوسو ، ويقلون من صفاته الحربية ، فإنهم لم يؤتوا من تقصير أو إهمال ، فقد أعدوا العدة للقائه .

وكان ملك شاوة مستبدًا ظالماً ضليلاً ، عيهوراً ، ولكن الشاويين تناسوا صفاته وإساءاته ، وذكروا أنه ملكهم ورمز آمالهم ، وذكروا أباه سهلي سلاسي ، وفضله على شاوة<sup>(١)</sup> ، وذكروا ماضيهم الجيد ، وأيامهم البلق المشهورة فهجموا على جيش كاسا

(١) كان سهلي سلاسي أصغر بني أبيه واصن سجال حاكم شاوة، أعلن نفسه ملكاً لشاوة والجلا، وكان حكمه طويلاً موفقاً . وقد اشتهر بعدله وكرم نفسه، وحسن وقادته للأوربيين . وفي عهده =

هجوماً عنيفاً لم تصده بادية الأمر مقاومة ، ولم يقف في سبيله شيء ، وكادوا ينتصرون ؛ ولكنهم ركبوا رهوسهم ، وجمحت بهم عواطفهم فلم يأبهوا لفنون الحرب ، ولم يتذرعوا بالحكمة والروية في حركاتهم ولم يعيروا لقوادهم المجرمين آذاناً صاغية ، فزجوا بأنفسهم في مآذق حرجة ، لم يحسنوا التخلص منها ، فاختل نظامهم ، ودارت الدائرة عليهم آخر الأمر .

ومات ملك شاوة قبل أن يعلم نبأ الهزيمة . وأذغت شاوة ، وكان ولي عهداً منليك طفلاً ، فأحسن كاسا مشواه ، وأرسله إلى أمبا مجدلاً ، حيث كان يقيم ابنه . وبذلك دانت الحبشة لكاسا من أقصاها إلى أقصاها . وهكذا بدأ كاسا حياته يتيماً معدماً ، ثم صار لاصاً أفاقاً ، ثم أخفى قائداً مظفراً فلما مصلحاً .

وأهم إصلاحاته ، وأبقاها أثراً الإصلاح الديني : هاله أمر الشاسين والقسييين ، وكانت عدتهم ألف ألف أو يزيدون ؛ وكانوا جهلة مستهترين . يجيئون باسم الكنيسة الضرائب ، ويملكون باسمها الضياع ، تحرث لهم ، وتزرع ، وتحصد ، وتحمل إليهم غلاتها : وهم قاعدون ، طاعمون ، كاسون ، لاهون ، قاصفون . وفي الشهوات إلى الأذقان منغمسون .

أمر بتعيين مسييين اثنين ، وثلاثة شماسين لكل كنيسة ، وكانوا من قبل مئين . وأعطاهم قطعة صغيرة من الأرض بجوار الكنيسة ليزرعوها بأنفسهم . لم يرق رجال الدين هذا الإصلاح ، فثاروا ضده ، فأحى رأسه أمام العاصفة حتى قرت . لم يبلغ إصلاحه . ولكن أوقفه إلى حين ، ونفذه في سنة ١٨٦٠ م .  
والآن وقد تم لتواضروس ما كانت تصبو إليه نفسه من التسلط على جميع

---

== وفدت على الحبشة بعثة من قبل حاكم الهند البريطانية (سنة ١٨٤١ م) وأخرى فرنسية (سنة ١٨٤٢ م) وأبرم مع كليهما معاهدة صداقة وتوفى سنة ١٨٤٧ م

أقطار الحبشة ، تاق إلى الفتح ، ولا غرو فهذه شنشنة نعرفها من كل أمة اجتمعت بعد تفرق ، وشعرت بالقوة من بعد ضعف ، فأغرى ، سراياه بالإغارة على أطراف السودان المصرى ، فماتوا فيها فساداً وقتلوا ونهبوا ، فأبلغ حكامدار السودان خبر ذلك إلى سعيد باشا فأثر بعد أن فكر في الأمر أن ينجح للسلم ، فأرسل أولاً الخطاب التالى للحكمدار .

في ١٨ شوال سنة ١٢٧١ أمر عال بواسطة طلعت بك لحكمدار السودان منطوقه :

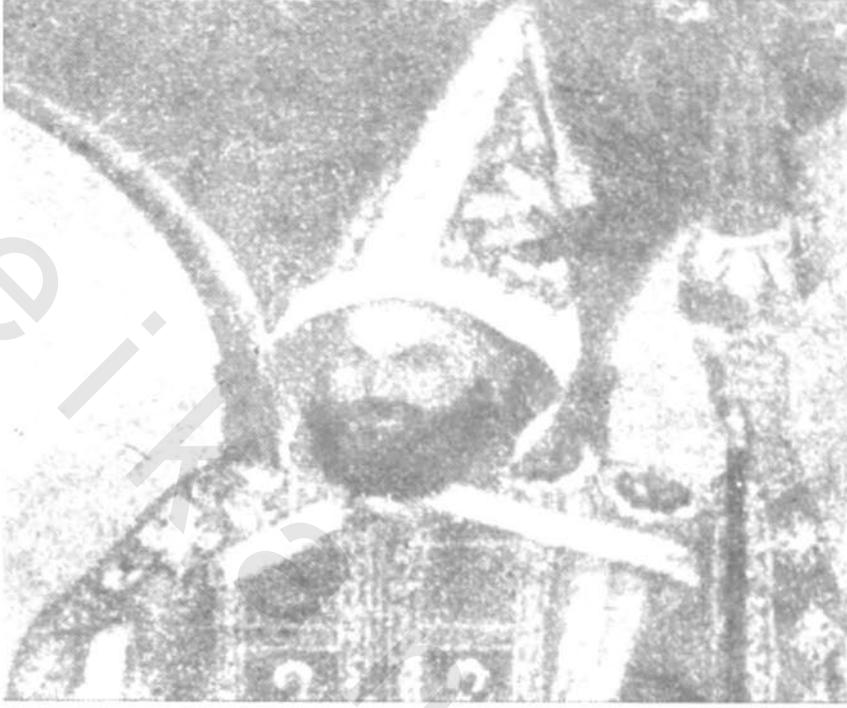
« قد عرض إلى الأعتاب السنية بمضمون مكتوب حضرتكم الذى ورد رقم ١٨ رمضان سنة ٧١ ونمرة ٥ وبعد أن علم لدى ولى النعم ما ذكرتموه مع ما اشتملت عليه المكاتبات التى وردت من جهة الجيش خطابا إلى الحكمدارية ، قد صدر النطق السامى أن الاستحضار الذى لحظتم لزومه من جهة الشرق هذا لم يقتض الآن حينما أن سلطان الحبشة مظهر الآن حالة التودد ، وذكر فى مكتوبه أنه عزم على تقديم هدية ، ومكتوب جلب المحبة والتودد وإنما اللازم الآن أن يجاوبوه بما هو اللائق لقبول ما بعث به من الهدية والمكافأة حسبما يجب فافتضى ترقيمه ليكون معلوماً لديكم ما تعلق به الإفادة السنية وتحروا العمل بمقتضاه .

حاشية : أما ما ذكرتموه عن حصول التعدى من الحبش على الجبهة التى ذكرتم لزوم الاستحضار فيها وحصول تسحب بعض الأهالى والتعدى . إذا كان لم يزل فى حالة الوقوع فيلزم التبصر عن طلب إزالته فى سلك مكاتبة المودة التى تحررونها لأجل تمكين حصول ذلك من الطرفين وتنظرون فى كيفية التسحب واقعة بأى الأسباب ، ويسير إزالتها بكيفية حسنة لزم التحشية للإحاطة بذلك<sup>(١)</sup> .

ثم عمد إلى إيفاد البطريرك كرلس الرابع إلى الحبشة ومكانته الدينية عند

(١) سامى باشا : تقويم النيل : المجلد الأول من الجزء الثالث من ص ١١٩ - ١٢٠  
الحبشة م - ٨

الحبشان مكاتته ؛ ليسفر بينه وبين نجاحيها . وسافر البطريرك مزوداً بهدايا ثمينة له ،  
وبالخطاب التالي إلى حكومة السودان .



البطريرك كرلس الرابع

« جناب بطريرك الأقباط عرض لأعتابنا أن مطران بلاد الحبش المقيم في طرفه  
هناك حاصل له عي شديدة ترتب عليه عطل أشغاله ويرغب التوجه بنفسه لإجراء  
ما يقتضى لضبط وملاحظة أشغال الملة ، والتمس الإذن له بالإجابة له فيما طلب .  
ومن حيث أنه من الوجوب ملاحظته ، ومراعاته كما هو من مقتضيات شيم  
مراحمنا ، وأن يصير له الاستعداد والمساعدة في جميع الجهات التي يمر عليها في الذهاب  
والإياب ، « أصدرنا أمرنا هذا إليكم <sup>(١)</sup> .... »  
ولم يشأ سعيد باشا أن يذكر في هذه الرسالة الغرض الحقيقي من سفر البطريرك  
إلى الحبشة ضنا بكرامة مصر وجيشها .

(١) سامى باشا : تقويم النيل : المجلد الأول من الجزء الثالث من ص ١٩٩ — ٢٠٠

وكان سعيد باشا قد أضمر في نفسه أمراً وهو أن يعد العدة للحرب إذا خاب مسعى البطريرك . فعزم على السفر إلى السودان ليشرف بنفسه على الشئون الحربية ، وتظاهر بأن غرضه من رحلته إلى السودان الوقوف على حال أهله كما جاء في إرادته التالية لفريق عساكره .

« في ١١ ربيع الأول سنة ١٢٧٣ إرادة لإسماعيل باشا فريق العساكر السعيدية :  
رغمًا عن أن تقدم وعمران الملحقات السودانية الموجودة داخل دائرة حكومتنا من أهم مقاصدنا ورغباتنا فبقاؤها على الحالة الحاضرة إلى يومنا هذا ، وعدم دخولها تحت النظام والإصلاح ، على الوجه المطلوب ، من بواعث الأسف ومن الأحوال التي لا يجوز دوامها ، فبناء عليه ، وحسب ما صممنا من مدة ، قد قررنا العزيمة على السير لرؤية الجهات المذكورة ، بعين الرأس ، والاطلاع على أحوالها ، وأطوارها ، ووضع وتأسيس النظمات اللازمة لعمرائها ورفاهية تلك البلاد ، وأهاليها والرعايا ، وقد صحت نيتنا وعزيمتنا على السفر ، لمبا رأينا من موافقة الموسم . . . . . وفي الوقت نفسه ، أرسل لحكمدار السودان الأمر التالي الذي يكشف عن دخيلة نفسه :

في ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٧٣ أمر عال إلى حكمدار السودان منطوقه :  
اعلموا أن إرادتنا ، اقتضت تحريك ركابنا ، من جهة مصر المحروسة ، بقصد الحضور إلى جهة السودان ؛ وبعد خمسة عشر يوماً تمضي من تاريخ أمرنا هذا ، يكون القيام من هذا الطرف ، فيلزم بوصول أمرنا ليدكم ، حالا وسريعاً تجميعوا كافة العساكر الجهادية ، الموجودين في جهة السودان ، ليكونوا حاضرين جميعاً بآلاتهم في الخرطوم ؛ كذلك تجميعوا فيها كافة المدافع الموجودة ، المهياة المطلقة ، وتبدلوا غاية المجهود في تجهيز واستحضار سائر ما يلزم من المأكولات ، وخلافه ، بحيث أنه عند حضورنا لذلك الطرف بمعيتنا يرى كل شيء في غاية الاستحضار والتجهيز ، ولا تبدو مشقة بسبب قلت (قلة) وجود اللوازم ، والحذر كل الحذر من العمل بخلاف

ذلك ، أو التقصير فيه ، لئلا يكون هذا سبباً لهلاككم بلا محالة ، عجلوا بنهاية ذلك ، حسب المطلوب كما اقتضته إرادتنا<sup>(١)</sup>

وكان استقبال البطريك حين بلغ أرض الحبشة عظيماً ، والترحيب بمقدمه بالغاً . ولما خلا البطريك إلى النجاشي ، فاتحه في الأمر ، واستطاع بمحكم تديره ، أن تمنعه بالتكيب عن سياسة العدوان ؛ ويأمر سراياه وجنوده بالكف عن اختراق الحدود للسلب والنهب ، ثم حدثه في أمر المبشرين الغربيين ، الذين يغرون فقراء الحبشان على اعتناق مذاهب أخرى ، غير مذهبهم ، فرأى النجاشي رأيه ، ووعدته بأن ينظر في أمرهم . ولم يرق لبعض الغرضيين من الحبشان ، ودعاة السوء من الأجانب ، صفاء الجو بين الحبشة ومصر ، فأوغروا صدر النجاشي بما حاكوه حول الأغراض الخفية التي جاء البطريك من أجلها . فزعموا أن البطريك منافق ، لأنه يتألى المسلمين على المسيحيين ، وأنه جاء لتثبيط عزم النجاشي في إعداده العدة لغزو السودان في الوقت الذي يعد فيه سعيد باشا ، وإلى مصر ، جيشاً لجبا لغزو الحبشة ؛ وأن من الهدايا التي جاء بها من مصر كساء مسموماً ، إذا ارتداه النجاشي ، سرى السم في جسمه ، فأت لساعته .

وجاءت الأنباء من السودان بأن سعيد باشا قد قدم السودان ، وأن جنوده تفد على الخرطوم ، من كل صوب . وأن عدد الحرب تصل إليها من غير وقف ، ولا انقطاع . وذكر النجاشي أن البطريك نصح له في سياق أحاديثه معه بمعاملة المسلمين الحبشان بالعدل والإحسان ، ليعامل سعيد باشا قبض مصر ، ومسيحي السودان بمثل معاملته للمسلمين ، فخامره الشك . وقويت عنده عوامل الريبة . فأوجس من البطريك خيفة . وأمر بالقبض عليه ومن معه ، وإيداعهم حظيرة محصنة بالأشواك . وأقام على بابها حرساً شديداً .

(١) ساسي باشا : تقويم النيل : المجلد الأول من الجزء الثالث ص ٣٠١

وطير العداءون الخبر إلى كثير من أنحاء الحبشة ، فهامت قلوب القسوس والرهبان والشماسة ، وروع الدهماء ، وقلق الرؤوس والصدور . وجاء القسوس من أقصى البلاد يسعون ، يحتجون سرّة ، وتارة يتوسلون . وكان قلب النجاشي أشد من الصخر الأصم قسوة ؛ وعوده أصلب من الحديد مكسراً . فقال لهم ، وهو يحاورهم : إنى أترك الحكم في القضية التي بيني وبين البطريرك الله ، ربي وربّه . فإذا كان البطريرك بريئاً مما يقولون ، وزوده الله بجناحين ، فطار بهما ، وجاءني من أعلى الأسوار ، مثلت بين يديه ، واستغفرت لذنبي ، وله في قديس الحبشة تكلا هيانوت أسوة . وإن لم يفعل ، ولن يفعل ، فدعوني أصرف شئون الدولة حسبما تقتضيه مصلحتها . وانتشر القسوس والرهبان في الأرض ، وأخذوا يصلون ويبتهلون لله ، ولكن الله لم يستمع لدعائهم ، ولم يزود البطريرك بجناحين يطير بهما من الحظيرة .

والتجأ رجال الدين إلى أم الملك ، وأرسل إليها البطريرك يستجير بها ، ويؤكد لها أن التهم الموجهة إليه زور وبهتان ؛ وأنه مستعد لارتداء الكساء ، الذي يزعم أعداؤه أنه مسموم ، ليقم الدليل على أنهم يفترون عليه كذباً .

ولم يعص النجاشي أمر والدته . وحجى بالبطريرك من سجنه . وأحضر الكساء لديهم ، فارتداه البطريرك في حشد من زعماء الحبشان ، ورءوسهم ؛ فلم يمسه ضرر . فلم يطمئن النجاشي لهذه التجربة ، مخافة أن يكون عند البطريرك مناعة ضد السم . فأمر أن يؤتى بمجرم محكوم عليه بالإعدام ، فارتدى الكساء من غير دنار ثلاثة أيام متواليات ، ولم يصب بسوء . فزال ما كان يخامرّه من شك في أمر الكساء . ولكن لم يزل في نفسه شيء من أمر حجى سعيد باشا إلى السودان ، وتكديسه الميرة والذخيرة في عاصمته ؛ وجمعه الجيوش فيها ، واستعدادها لتوجيهها إلى أي جهة يريدّها . فاقترح البطريرك أن يرسل النجاشي رسالة إلى سعيد باشا في هذا الشأن يحملها إليه رسل من الحبشان .

وجاء الرد من سعيد باشا في ٩ جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ هذه صورته :  
من محمد سعيد كافل الديار المصرية ، وما يتبعها من الأقاليم السودانية ، إلى  
حضرة سلطان الحبشة ، ومتملك البقعة النجاشية ، لزال في حظ وافر ، وسرور فاخر .  
أما بعد حمد الله الأمر بمراعاة حق الجيرة ، وإحسان السيرة ، والصلاة والسلام ،  
على سائر الأنبياء والمرسلين ، ..... والإتحاف بأهدى التسليمات الكثيرة .....  
فإننا لما كانت جبلتنا الطبيعية نشر أشعة أنوار أنظارنا الخيرية ، وإذاعة أسرار  
أفكارنا الإدارية ، على من كان تحت أنظارنا من الرعية اهتزت هممتنا ..... بالمرور  
على الأقاليم السودانية ..... فوصل الآن ركابنا إليها ..... بقصد النظر فيما عليه  
أهاليها من أحوال ..... هذا غاية قصدنا ، ولا قصد لنا سواه ، وإن لكل امرئ  
ما نواه . وحيث كان بيننا وبين حضرتكم حقوق الجوار ، وقرب الدار من الدار ،  
وصلة المصالح التجارية ..... فقد رأينا من الاقتضى أن نوجه ل حضرتكم هذا الخطاب  
ليعلم به حقيقة ما قصدناه ، بتقريبنا من هذه الجهة من حسن النية .....  
وبما نحن عليه من مراعاة حقوق المجاورين لنا ..... ولأجل أن تكونوا حضرتكم  
من أسرارنا في هذا الخصوص على بصيرة ..... (١) »

وعادت الرسل تحمل رسالة سعيد باشا ، فصدق لها النجاشي ، وعرف خطأه ،

---

(١) تقويم النيل : المجلد الأول من الجزء الثالث ص ٢٠٧

وفي هذا التاريخ نفسه ، كتب سعيد باشا إلى سلطان دار فور بهذا المعنى ، يطبئته ، ويزيل  
الوسائل التي قد تكون قد ساورتها كما ساورت النجاشي . وصورته : من محمد سعيد ..... إلى .....  
سلطان دار فور ..... فإنه بحسب ما جبلنا عليه ..... تحركت ركائبنا حتى حل الآن موكبنا  
بالأقاليم السودانية ..... بقصد تفقد أحوال الرعية .... وحيث كنا من بعضنا بمكان المجاورين ،  
وكانت الأهالي في كل مكان من الجهتين لمصلحة التجارة ..... واردين مترددين ، فقد رأينا  
عن الواجب أن نحرر ل حضرتكم هذا الكتاب ..... ليحيط علمكم الكريم بحقيقة الغرض المقصود  
من تنقلتنا إلى هذه الجهة ..... ولتكون حضرتكم من أسرار سائرنا على بصيرة ..... ولا سيما  
وتجمعنا مع حضرتكم جماعة الإسلام ولا أريد إلا الإصلاح ما استطعت والسلام .....  
انظر النص الكامل ص ٢٠٦ من نفس الكتاب .

وندم على تسرعه في الحكم على ظواهر الأمور ، وتصديقه لقول الوشاة . فأفرج عن البطريرك وذهب إليه يحمل حجراً ، معتذراً عما فرط منه في حقه وشاع الأمر في أنحاء الحبشة ، فسرى عن الناس ما كانوا يجدونه من الضيق والخرج ، وعمهم الفرح ورفعت الأعلام على الدور والكنائس . ورفلت الحبشة جميعها في ثوب من السرور . وجاء الناس البطريرك زرافات ، صبحاً ، وظهراً ، وعشاءً من التأثر بيبكون . وطال مكث البطريرك في الحبشة ؛ وقلق قبط مصر وضاق صدر سعيد باشا ، وأشير عليه بالكتابة للنجاشي فكتب له رسالة في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٧٤ أي بعد نحو أحد عشر شهراً من الرسالة الأولى . وهذا نصها :

من محمد سعيد باشا . . . إلى حضرة سلطان الحبشة . . .

أما بعد ، أهدى تحية المحبة . . . فالداعي لتحريره . . . هو السؤال عن خاطر حضرتكم . . . ثم إنه فيما تقدم حل موكبنا بالأقاليم السودانية ، ولمناسبة المجاورة حررنا لحضرتكم مخاطبة مبنية عن خالص الوداد . . . وللآن لم نحظ بورود ردها . . . فلعل المانع في ذلك خير . ومتى كانت المودة صافية سليمة . . . فلا ضرر ، ولا ضير ؛ وإنما دعت الحاجة للمكاتبة الآن فيما يأتي إيضاحه ، وهو أن رئيس الطائفة العيسوية الأقباط بمصر عرض لدينا ما مضمونه ، أن البطريرك تقدم توجيهه إلى الحبشة زائراً ، من مدة شهر . و حضرتكم أبقيتموه هناك ولو أنه محترم عندكم . . . إلا أنه نظراً لغيابه تلك المدة ، تعطلت إقامة شعائرهم الدينية والدينية نوعاً ، والتمسوا المخاطبة من طرفنا ل حضرتكم أملاً في التعجيل برجوعه ليقوم إليهم بأداء تلك الوظائف . . . ومنه برد الجواب ليتواصل الود والاستحباب ، ودمتم كما رمت<sup>(١)</sup>

وعاد البطريرك إلى مصر ظافراً ، يحمل إلى سعيد باشا هدايا كثيرة ثمينة ، أثنى

وثيقة صداقة بين مصر والحبشة .

(١) تقويم النيل : المجلد الأول من الجزء الثالث ص ٢٦٠

وبهذا أدرك تضرروس نهاية عزه ، ووصل إلى قمة مجده . ونال من الأيد ، والقوة ، والسلطان ، ما لم ينله نجاشي من قبله ، ولا من بعده . فتملكه الزهو ، وبلغ به الفرور مبالغاً أبطره ، وأعمى عليه أمره ، فجاز حد الأمور ، وبخاصة بعد موت زوجته الأولى . فلقد كانت زوجة سالحة <sup>(١)</sup> ، عفة اللسان ، راجحة العقل ، وفيه له ، فاجتباها موضعاً لسره ولم يكن يكتبها شيئاً طراً عليه ، فحصته النصيحة ، وبصرته بالعواقب ، فصلح وصلحت به رعيته . وكان يحسب حين خلا مكانها ، أن في الإمكانيات ، أن يستبدل بها أخرى تحذب عليه ، وتواتيه ؛ ومهرب من الخطوب إليها ، فتواسيه . ولكنه تزوج مختالة نفورة ؛ تذهل متعمدة عن حاضره ، وتذكره بماضيه <sup>(٢)</sup> . فهان عليه أن يفرق في الكأس نفسه ، وعزه ومجده ، لتغيب هي عن ذاكرته ، فينسى إساءاتها له . وإذا ما صحا ، ورأى تجهمها له ، وذكر همزها ولمزها ، فرمها ، وارتمى بين أحضان الرذيلة ، وسدر فيها ، وأوضع ، أو ذكر فظاظتها ، وغلظ قلبها ، وقسا قلبه وتحجر ، فقتل من غير ذنب ، ولم يحسن القتلة ؛ وأسرف في التمثيل بمن خالف أمره <sup>(٣)</sup> ، أو عارض رأيه . فانت الحبشة من أقصاها إلى أقصاها من ظلمه وعسفه ، وتطاوت أعناق الرءوس ؛ وهوا بنقض عهده ، وثارت عليه بعض قبائل الجلا ، فنكل بهم نكالا لم ينكله أحد بأحد . وفي أثناء ثورته النفسية هذه ، وانتفاض الناس عليه ، زج نفسه في خلاف مع بريطانيا العظمى بسبب أمور تافهة ، انتهى بحرب <sup>(٤)</sup> ، خذله فيها كثير من جنده وأعوانه ، وخانه بعض الرءوس ، وانضموا إلى أعدائه . واتهزها بعضهم ، فثار ، وأعلن استقلاله . وأمام هذه الخطوب ، التي اصطلحت عليه ، هجر عاصمته دبراتاير ،

(١) كان الفرض من زواجها منه أن تحتال على هلاكه ، ولكنها أحبتة ، وأخلصت له ، ولقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً .

(٢) كانت زوجته الثانية ابنة رأس تيجري وكان زواجه منها غير موفق .

(٣) راجع حادث جزيرة متراها وقصة الرءوس التي مثل بهم أشنع تمثيل .

(٤) حملة السير ناير التي نزلت في أرض الحبشة سنة ١٨٦٧ .

بعد حرقها . ووقف للأعداء في مجدلا . ولقد أبدى ، في أثناء تراجعه من فهم للفنون الحربية ما أذهل عقول قادة الحملة البريطانية ، واسترعى تقديرهم لكفايته الشخصية . ولكن شجاعة تضرروس ، وكفايته الحربية ، واستماتة جنوده المخلصين في القتال لم تكن فتىلا أمام عدد الحرب الحديثة والفن الحربى الحديث . فلم يك غير دقائق معدودات حتى فر الحبشان لا يلوون على شىء ، من هول ما رأوا من فتك آلات البريطانيين الحربية .

واعتصم الإمبراطور ومن تبعه من جنوده المخلصين إلى القلعة ، فلم تصدر عنه . واقتحمها البريطانيون فوجدوه قد قتل نفسه ، مفضلا الموت على أسر الأعداء .

## منليك الثانى

حمل منليك ، ولما يطرّ شاربه ، أعباء مُلك وطَّده جده ودعمه ، وأضعفه أبوه وأوهى بنيانه . عهد له أبوه بالملك وهو يعالج سكرات الموت ، والقتال محتدم ، وصليل السيوف ، ودوى المدافع ، يقرعان سمعه قرعا عنيفاً . ولم تن الملك الطفل فجيمته فى أبيه عن القتال نخاض غمار الحرب ، وقاتل حتى خانته المجال ، وتفرق عنه جنده وأعوانه ، وأخذة كاسا كما قدمنا أسيراً ، وأرسله إلى مجدلا مقر ملكه .

وأكرم كاسا مثنوى منليك ، وأنزله فى بيته منزلة الولد ، ولكنه كان يشعر بمرارة الهزيمة ، وذل الأسر . ولم تكن نفسه الكبيرة ، ترضى بالدون ، ولكنها كانت تصبو لمجد مؤنث وملك عريض ، وشغل كاسا عنه بقتال البريطانيين فقر ، والتجأ إلى ملكة وولو جلا ، واستجار بها فأجارته ، وهى تعلم أن ابنها ، فى قبضة تضرروس وجاءها رسل تضرروس يخبرانها بين ابنها وتسليم الأمير المهرب ، فرفضت الملكة الأبية أن يمتن جوارها ، وتخفر ذمتها ، فكلفها ذلك الإياء تاجها ورأس ابنها . وتمكن منليك مرة أخرى من الهرب ، ووصل إلى شاوة شريداً ، فقابله قومه بالخفاوة ، والتكريم ، والتفوا حوله ، ونصبوه ملكا عليهم ( ١٨٦٥ م ) .

وقضى منليك ثلاث سنين ( ١٨٦٥ م — ١٨٦٨ م ) فى تدعيم ملكه ، وتنظيم جيشه ، وصد عدوان الجلاعن أطراف بلاده . ولما مات تيودور سنة ١٨٦٨ م أطلق سراح أمراء شاوة الذين كانوا فى أسره ، فشدوا أذر منليك وزينوا له السعى لملك الحبشة ، فانتهاز فرصة اشتغال رأس تيجرى الذى كان قد أخضع ولايات الحبشة الشمالية بعد موت تضرروس مستعيناً بمعدات الحرب الحديثة التى منحها له البريطانيون عند

انسحابهم من الحبشة ، جزاء ما قدمت يداها لهم ، من مساعدة في حربهم مع تضرروس ، والذي لم يلبث أن أعلن نفسه امبراطوراً على الحبشة ، باسم يوحنا . وانهز منليك فرصة اشتغاله بصد هجوم الغزاة المصريين ، على ثغور الحبشة <sup>(١)</sup> ، فغزا أرضه ، ولم يثنه عن المضي في اجتياحها . إلا شبوب فتنة في شاوة . فأسرع راجعاً لإخادها .

ولما تم ليوحنا صد الغزاة ، سار بخيله ورجله إلى شاوة يدتغى الانتقام من منليك ، لغزوه بلاده ، وكانت جيوش تيجرى أكثر عدداً ، وأحسن عدة ، فما هي إلا جولة وجولة حتى انهزمت جيوش شاوة . وأخفى منليك رأسه ، أمام الإمبراطور يوحنا . وبذلك فقدت شاوة استقلالها كره أخرى ( سنة ١٨٧٨ م ) .

وفي هذه الأثناء ظهر الإيطاليون في شرق الحبشة . بدءوا ، كما بدأ البريطانيون في الهند وانتهوا ، كما انتهوا . بدءوا بأن اشترت شركة إيطالية ميناء عسب ، من سلطان تلك الجهات . ولم تلبث أن وسعت أملاكها تدريجاً . وفي سنة ١٨٨٢ م آلت هذه الأملاك إلى الحكومة الإيطالية . وفي سنة ١٨٨٥ م ضمت إيطاليا ميناء مصوع

---

(١) لم يكتب إسماعيل ، وكان ملكاً طموحاً ، بامتداد امبراطوريته جنوباً إلى أقاصى وادى النيل ، مطوقاً الحبشة من الغرب ، بل طوقها من الشرق والجنوب ، باستيلاء جيوشه المظفرة على بلاد الدناكل ، والصومال وجزء من بلاد الجلا ، ووصولها إلى نهر الجب جنوباً ، وبلاد هرر شمالاً ( سنة ١٨٧٥ م ) بعد أن نزلت له الدولة العثمانية ، صاحبة هذه الأقطار ، منذ القرن السادس عشر ، عن مديريات مصوع وسواكن سنة ١٨٦٦ م ، وعن زيلع ، وما يتبعها من الأراضي سنة ١٨٧٥ م ، ويشهد كثير من الرحالة الأوروبيون ، الذين جاسوا خلال هذه الإمبراطورية المصرية العظيمة ، وزاروا بعض مدنها في عهد الحكم المصرى ، بأن المصريين كانوا رحمة لأهلها ، وسلاماً عليهم ، فقد نصحروا الأمن في ربوعها ، وأحلوا النظام محل الفوضى ، ومكنوا للعسل في الأرض ، وقضوا على ظلم الولاة العاشقين ، الذين يضرب المثل بظلمهم . ولقد بلغ من ظلم أحدهم ، أنه كان يحرم على الناس أكل أصناف الطعام التي تطيب له ..... فاطمأنت بذلك قلوب الناس ؛ وأمنوا على نفوسهم ، وكراماتهم ، وأموالهم ؛ فنشطت التجارة . ولقد أرسلت مصر المهندسين البارعين فعبدوا الطرق ، وسافروا المياه إلى المدن ، بعد درس الينايبع والمجارى المجاورة ، وبنوا المنارات لهدى السفن ، والمستشفيات لمعالجة المرضى ، بعد تزويدها بالأطباء ، والأدوية الحديثة ، والمدارس لتعليم الصبية العلم . « انظر كتب الدكتور محمد صبرى في هذا الموضوع وكتاب تقويم النيل ، وعصر إسماعيل باشا ، المجلد الثالث من الجزء الثالث : لأمين سامى باشا » .

إلى أملاكها ، منتهزة فرصة الثورة المهدية ، وتنافس ظل الامبراطورية المصرية التي ترامت من قبل أطرافها ، واتسعت أكنافها ، حتى أحاطت بالحبشة من كل مكان .

وسرعان ما اصطدمت الحبشة بإيطاليا ، فقد فتك الحبشان ببعض الجنود الإيطاليين . وغضبت لذلك إيطاليا . وهمت بأن تثار لهم ، لولا أن غلب السلام ؛ وانتهى الأمر بالصلح .

وما كادت الحبشة تسوى مشكلة الحدود الشرقية ، ولو إلى حين ، حتى جدت مشكلة أخرى في الغرب .

وذلك أن المهدي قد ظهر في السودان ، فأذعن أهله لتعاليمه ، ونزلوا على حكمه ، وحكم خليفته من بعده ، وكلاهما قيل من أنفسهم ، فشعروا بالعزة والمنعة ، وأنسوا من أنفسهم البأس والقوة ، فسوت لهم فتح الأمصار المجاورة ، متأسين بالخلقاء الراشدين ، فهاجموا مصر فردوا على أعقابهم خاسرين ، فيممو شطر الحبشة ، وغزوا ثمورها . فخف للقائمهم النجاشي يوحنا ، وكانت حرب بين كفاين لا يعدل أحدهما الآخر ، فعلى الرغم من اقتحام الدراويش الحدود الحبشية ، واستيلائهم على مدينة جندار ونهبها ، فإنهم وجدوا أنفسهم عاجزين عن متابعة القتال في أرض الحبشة . فعادوا أدراجهم قائمين بجثة الامبراطور ، الذي كان قتله بجريرة طائشة سبباً في انتشار عوامل الهزيمة بين صفوف الحبشان بعد ما أوشك أن يكون النصر لهم .

وما أن علم منليك بموت الامبراطور يوحنا حتى أعلن نفسه نجاشياً ، وأذعنت له الحبشة ، وسرعان ما مدت له إيطاليا يدها فتقبلها ، وعقدت بين الطرفين معاهدة صداقة ضمت بمقتضاها أسمرا إلى إيطاليا وتبادلا الممثلين السياسيين . وأخلص منليك للمعاهدة ثلاث سنين سوياً ، بدأ يخامرهُ الشك من بعدها ، في نوايا إيطاليا الاستعمارية حين رأى تقرب الصديقة من رأس تيجرى ، ومن ولى عهد الامبراطور السابق

يوحنا . وأصبح الشك عنده يقينا حين علم أن نص المعاهدة الأمهرى والإيطالي مختلفان<sup>(١)</sup> فنقضها غير مبال بالنتيجة .

وشاع في الحبشة خبر انفصام عمرا المعاهدة ، وانتهز بعض الروس فرصة اشتباك الإيطاليين مع الدراويش في حرب ففوزوا أرضهم ، فهزموهم الإيطاليون وتبعوهم داخل الحدود الحبشية ، نجف منليك وجنوده للاقتحام . وكان عدة جيش منليك تسعين ألف ؛ فاضطر الإيطاليون للتقهقر ، أمام هذا الجيش اللجج ؛ وأرسلوا إلى أهلهم يطلبون المدد . وجاءهم المدد على جناح السرعة ، وكل جيشهم ، ثلاثة عشر ألف جندي ، مزودين بأحدث العدد الحربية . وشاور منليك قواده ومشيريه في الأمر ، فأشاروا عليه باحتلال ربوة حصينة ، بجوار عدوة ، فاحتلها ؛ فهاجمه الجيش الإيطالي غير متحرز فدارت الدائرة عليه ، وهزموه الحبشان هزيمة نكراء ، كان لها دوى عالى ، وأثر كبير في السياسة الدولية ، وأحدثت هذه الهزيمة ، تغييراً كبيراً ، في نيات الدول الغربية نحو الحبشة . وأبرمت معاهدة الصلح بين الحبشة وإيطاليا . اعترفت فيها إيطاليا باستقلال الحبشة التام ، وتلت المعاهدة اتفاقات ، بشأن تعيين الحدود بين المستعمرات الإيطالية ( ارتريا والصومال ) والحبشة .

ولقد استرعى انتصار الحبشة على دولة أوربية كبيرة أنظار الدول الأوروبية الأخرى نحوها ، ولنظ العالم باسم نجاحيها ، وسارعت الدول إلى خطب ودها — ود القوى المنتصر — وإرسال البعث إليها ؛ ومدتها بمدد الحرب الحديثة التي استعان بها منليك في حروبه مع الجلا ، التي انتهت بخضوعهم له ، وضم أرضهم إلى الإمبراطورية الحبشية . وبذلك استعاضت عما اقتطعته الدول الأوروبية ( بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا ) من أراضيها الساحلية .

(١) يحرم النص الإيطالي على الحبشة اتصالها بالدول الأجنبية الأخرى اتصالاً سياسياً إلا عن طريق إيطاليا على حين أن النص الأمهرى خلو من هذا التحريم أو المنع .

## كتب اللجنة

في هذه الفترة الوجيزة بعد تكوين اللجنة أصدرت - عدا الكتب المدرسية - الكتب الآتية :-

رقم سلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف	محتويات الكتاب
١	يسألونك	الأستاذ عباس محمود العقاد	يتحدث عن كثير من المشكلات الاجتماعية والأدبية التي يتساءل الإنسان عنها . ويجد في هذا الكتاب الجواب الحازم السديد ، يقع في ٢٧٢ صفحة وعنه ٢٥٠ ملية عدا البريد
٢	أثر الشرق في الغرب	الدكتور فؤاد حسنين المدرس بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول	ترجم عن مستشرق ألماني رفع من شأن الشرق ، ووصف حضارته في مختلف النواحي عدد صفحاته ١٢٨ وعنه ١٥٠ ملية عدا البريد
٣	مشكلاتنا الاجتماعية	الأستاذ محمد عطية الأبراشي المراقب المساعد لتعليم الحر بوزارة المعارف العمومية	يتحدث عن كثير من المشكلات الاجتماعية لاسيما مشكلات الفقر ، والجهل ، والمرض . فيه تحليل دقيق لكثير من أدوائنا الاجتماعية وعلاج حكيم حازم لها عدد صفحاته ٢٤٠ وعنه ٢٥٠ ملية عدا البريد
٤	قصة الكهرباء واللاسلكي	الأستاذ محمد عاطف البرقوقي المفتش العام للعلوم بوزارة المعارف العمومية	يتحدث عن قصص علمائها ، وتطور مخترعاتها ومواصلاتها ، السلكية واللاسلكية ، الرادار في الحرب والسلام ، محلي بصور العلماء والمخترعات . عدد صفحاته ٢٥٦ وعنه ٢٥٠ ملية عدا البريد
٥	الغزل عند العرب	الأستاذ حسان أبو رحاب مدير إدارة التحريرات العربية بوزارة المعارف	يتحدث عن معنى الغزل وألفاظه ، ونشأته ، ودواعيه وشفق العرب بالغزل وأثر الغزل وتطوره . دراسة تحليلية في أسلوب شائق وتصوير رائع تغذي القاب والذوق والعاطفة ، يقع في ٢٥٦ صفحة .

في سنة ١٨٩٤ منحت الحبشة لشركة فرنسية امتيازاً بمد سكة حديد جيبوتي .  
واعترضت هذه الشركة صواب كادت تثدها وتعلن إفلاسها ، لولا أن سارعت الحكومة  
الفرنسية لتبديدها ، فتمكنت من مد الخط من ميناء جيبوتي إلى بلدة ديردوا سنة ١٩٠٢ .  
وفي هذه السنة ( ١٩٠٢ ) أبرمت بين الحبشة وبريطانيا معاهدة عينت فيها الحدود  
بين الحبشة والسودان ، وتمهدت الحبشة فيها ، بعدم التعرض لموارد النيل الحبشية .  
وتلا هذه المعاهدة ، قدوم بعثات تجارية ، وسياسية من مختلف الدول ، وتعيين  
قناصل ، وممثلين سياسيين لدى البلاط الإمبراطوري .

وفي سنة ١٩٠٦ عقد اتفاق ثلاثي ، بين بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، وإيطاليا ،  
حددت فيه المصالح المختلفة ، للدول الثلاث ؛ وضمن فيه استقلال الحبشة ، وسلامة أرضها .  
وفي سنة ١٩١٣ مات منليك ، ذلك الرجل الذي وطد مملكة الحبشة ، ودعم  
أركانها ، ووسع رقعة أرضها ، وأعلى شأنها بين الدول . اعتلى عرشها ، وهي واهية  
العرا ، مقسمة بين رموس متفرقين ، توشك أن تصبح نهياً مقسما ، بين الدول  
الأوروبية العظمى ، وتركها إمبراطورية مهوية ، صرعية الجانب ، ذات مِرّة وسيادة .  
مات منليك الثاني ، وكان قد أوصى بالملك من بعده لحفيده ليح ياسو ، وكان حدثاً  
مدللاً . سقط عليه الملك ، ثمرة فجة ، لما تنفضها الأيام ، وجاء إليه صولجانه ، حزمة  
من العيدان ، ولما يدبجها الاجتماع المتصل ، والشعور بالمصلحة المشتركة .

وكان ملك منليك ، طويلاً عريضاً ، يشمل ممالك وإمارات ، وولايات لا يربطها  
رباط المصلحة ، ولا يجمعها أواصر الدم ، أو اللغة ، أو الدين ، أو الثقافة ، جمعها بالدم ،  
والنار ، وربطها برباط الخوف .

واقدم حكم منليك ، هذا الملك حكماً أوتوقراطياً ، عماده القوة الغاشمة ، وعدته  
جيش لجب ، مزود بعدد الحرب الحديثة .

وعلى الرغم من كل هذا ، فقد استقام له أمر الدولة والتأمت شئونها ، وسلس

له قياد رءوس الولايات ، وخلصت له قلوب الجماهير . ولا بدع ، فقد كانت فيه صفات الزعيم ، ومزايا معبود الجماهير ؛ التي تلخصها بعضهم فيما يلي :

١ — شخصية قوية جذابة .

٢ — كفاية نادرة .

٣ — همه قعساء .

٤ — نزاهة شماء .

٥ — توافق خواطره مع خواطر شعبه .

٦ — اتفاق أغراضه ، وأهدافه ، مع أغراض قومه وأهدافهم .

٧ — قدرته على كبح جماح نفسه حين ينبغي .

ولقد وصف سفدج لندر ، الرحالة المشهور ، مكانة منليك ، في نفوس بني وطنه قال : « وكلمة الإمبراطور ( يعني منليك ) نافذة في رعيته ، وهم يعبدونه عبادة كأنه إله ؛ ويشاركهم في ذلك غير الأحباش ، من القبائل الخاضعة لهم ، وكلمته شريعة لهم ، وأمره مطاع فيهم ، ورجاله يتغلبون على أعدائهم ، بما لهم من الهيبة في النفوس ، لا بمهارتهم الحربية . فإذا توفى منليك ، لم يسهل على من يخلفه ، أن يقبض على زمام البلاد ، لاسيما أن عميون الدول الأوروبية طامحة إليها من كل الجهات <sup>(١)</sup> » .

(١) سفدج لندر ، واخترافه لإفريقية ؛ الرواد ص ١٣٣

## ليج ياسو (١٩١٣ - ١٩١٦)



الإمبراطور ليج ياسو وعن يمينه الرأس تفرى

وعلى الرغم من صغر سن ليج ياسو، فقد كان مُبَصَّرًا بالأخطار المحدقة بإمبراطوريته من كل صوب، فإيطاليا تحدجها من الشمال، ومن الجنوب، بنظرات فاحصة، لترى مواطنيها أقدام جندها، وبريطانيا ترنو إليها من الشرق، ومن الغرب، لتتبين أى اللقم أسوغ وأجدى. وفرنسا من بينهما تختلس النظر إليها، وتتربص بها الغوائل، ليفرض لها شئ؛ منها عند قسمتها. بينما يكتنف حدودها بحر من الأمم الإسلامية، وفي داخل حدودها، قبائل إسلامية قوية، راغبة عن حكم الحبشان، ومولية وجهها شطر

إخوانها في الدين . عبر الحدود ، وعبر البحار .

وجاءته جواسيس الألمان ، ودعاة الأتراك ؛ بعد قيام الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ م - ١٩١٨ م ) يبصرونه بمطامع بريطانيا وحلفائها وبضرر الثقة بهم ، والاسترسال إليهم . ولم يقفوا عند الحقيقة ، بل تعدوها إلى التهويل والتفريع فاهتال ، وكاد يتفرع عليه عقله .

رأى ليج ياسو ، بعد تردد طويل مال به إلى مجالس اللهو والشراب ؛ فألقت به عن تصريف شئون الدولة ، وأذهلته أحياناً ، عن استقبال الروس وحكام الأقاليم ؛ ومنها القاصية ؛ ومنها الدانية ؛ فتوغل أعمال اليوم إلى الغد ، وأعمال الغد إلى ما بعد الغد ؛ فينصرم حبل الأمور ؛ وتضيق صدور الروس والحكام ؛ وهم مزهوون ؛ سرهفو الحس ؛ من إهمالهم إهمالاً يرون فيه إهمالاً لهم ؛ وتحقيراً لشأنهم : رأى ليج ياسو ، بعد هذا التردد الضار ، أن من حزم الأمور أن يستجيب لدعاة الترك الذين وعدوه بملك عريض ، يشمل الحبشة والسودان المصري الانجليزي ، وجميع المستعمرات الإيطالية ، والبريطانية ، والفرنسية ، في القرن الشرقي .

وليس بمستغرب على ليج ياسو أن يصدق لقولهم ، لأن الحبشان جميعاً لم يكونوا يوجسون خيفة على وطنهم من الألمان أو الأتراك ، ولكنهم كانوا يرهبون كما ذكرنا إيطاليا ، وبريطانيا ، وفرنسا ؛ تلك الدول التي أحاطتهم بمستعمراتها ، فحالت بينهم ، وبين البحر ، طريقتهم إلى العالم الخارجي ؛ وحبستهم في قلعهم الجبلية ؛ وأخذت عليهم مهار بهم ؛ ولم يحل بينها وبين اقتسام أرضهم ، إلا تنازعهم على طريقة قسمتها ، وعلى مقدار حظ كل منها .

تنكر ليج ياسو للحلفاء ، وجهر بميوله السياسة ، وأخذ يلوذ بالمسلمين ، ويفشى مجالسهم ؛ ولم يلبث أن اعتنق الإسلام ، وتزوج أميرة مسلمة . فاتهم دعاة الحلفاء هذه الفرصة الذهبية ، فأثاروا القسيسين والرهبان ؛ وبثوا روح التمرد والعصيان ، بين

الرهوس وحكام الولايات المسيحية ، واندسوا بين دهما المسيحيين يشبهون عليهم  
أمره ، ويرهقونه ميناً وابطلا ، وثارث فائرة مطران الحبشة ، وأحل الناس من بيعته ،  
واجتمع بعض الرهوس ورؤساء الدين وأجمعوا أمرهم على خلمه ؛ وتولية الأميرة زوديتو



الامبراطورة زوديتو

ابنة منليك ، وخالة الإمبراطور الخلع : لتعلق الناس ببیت منليك .  
وعمت البلاد فتنة عمياء ، وانقسم الناس شيعتين ، أهل الجنوب ، وجلهم  
من الجلا المسلمين يناصرون النجاشي الخلع ؛ وأهل الشمال ، ومعظمهم من الأمهرا  
المسيحيين ، ويلتفون حول زوديتو : وقامت حرب أهلية . والتقى الجمعان ، وغلبت  
فئة الجنوب فئة الشمال ؛ وتقدم الجيش المنتصر نحو العاصمة ، حتى لم يبق بينه وبينها ،  
إلا بضعة كيلومترات ، وقلوب جيش منهزم ؛ فانتشر الذعر والهلع بين سكان العاصمة  
وغادروها من الخوف والرعب بعضهم ؛ وعمد قائد الجيش المنهزم إلى الخديعة ؛ فافتري  
على قائد الجيش الظافر كذباً بإخباره أنه يعترف بالهزيمة ؛ وأنه قرر لذلك التسليم له ،  
ورجاه التوقف عن القتال ، حتى يفاوض ولاية الأمور في العاصمة في شروطه ؛ فانطلق  
عليه محاله ؛ فكف عن القتال ، فأفلتت من يده الفرصة ، وأسقط بذلك الصولجان  
من يد ملكه وإمبراطوره ؛ لأن أهل الشمال كانوا يجمعون جموعاً جديدة ، وجاءت  
إليهم جنود ، لم تذوق طعم الهزيمة ؛ وبدأت معركة كانت مائة ، في بادئ الأمر ؛  
ثم بدأت ترجح كفة أهل الجنوب ، ولكن جاءت لأهل الشمال نجدة في الوقت  
المناسب ، فهجم الرأس كاسا ، قائدها ، على جناح جيش الإمبراطور ؛ فتضامع ،  
ودارت الدائرة عليه ؛ وتم بذلك النصر لأهل الشمال .

ومات ليح ياسو في معتقله ؛ ولم تلبث زوديتو أن تبعته . وانطلقت إشاعات السوء  
عن موته وموتها ؛ ولكننا لا نعلم من أمر موتها علماً واضحاً نتكلم عنه أو نكتبه .

وخلصت الحبشة للرأس تفرى ( ١٩١٦ — ١٩ ) وتوج عليها إمبراطورا ،  
باسم هيلاسلاسي ؛ وأضفي عليه لقب امبراطرة الحبشة التقليدي « الأسد القاهر  
من سبط يهوذا ، المختار من الله ، ملك ملوك أثيوبيا . » وذلك في حفل ، لم تشهد  
الحبشة مثله . فقد جاءت إليها الوفود والبعوث ، من مشارق الأرض ومغاربها ،  
ومن بين أفرادها عدد من أمراء الأسر المالكة ، لتمثيل بلادهم ، في هذا الحفل العظيم .

وأخذت الحبشة ، في عهد الإمبراطور هيلاسلاسى ، بأسباب التقدم ، واستقدمت عدداً من الإخصائين الأجانب ، وأرسلت لفيفاً من أبنائها إلى أمريكا ، وأوروبا للدرس . . . . .

ولكن إيطاليا التي لم تنس هزيمتها في عدوة ، كانت لها بالمرصاد ؛ فهاجمتها من غير جريرة أدعتها عليها ، ومن غير إنذار بحرب . فخرت الأمة الشجاعة مكتبة على وجهها ، منهوكة القوى ، بعد أن صبت عليها القوة الفاشمة الظلوم من سماء أرضها ، غازات خائفة ، وسوائل سالقة ، وقنابل محرقة ومدمرة .

وغادر الإمبراطور وأهله وبعض قواده أرض الوطن ، واعتصم بعض الرؤوس ، وبعض جندهم ، وأتباعهم ، بالجبال العالية ، يتحينون الفرص للإيقاع بالإيطاليين ، ويتربصون بهم الغوائل .

وسلط المرشال جراتسيانى<sup>(١)</sup> على الحبشان ، فاستبد وأذل أعزتهم . وحاول أحدم قتله في ١٧ فبراير سنة ١٩٣٧ ، فلم يصبه إلا بجرح صغير ؛ فنكل بهم تنكيلا لم يتكلمه أحد ؛ من ذلك قتله من سكان العاصمة وحدها تسعة آلاف نفس بريئة ، وإفناؤه أسر الحكام السابقين في الولايات القريبة من العاصمة . وحرقه كنائس جوجام ؛ وإعدامه مئات من القسيسيين والرهبان ، وإخراجه مئات من ذوى الثقافة القريبة من ديارهم .

ولقد حاول الدوق داوستا ، الحاكم العام ، الذى خلف جراتسيانى ، أن يستبدل اللين بالشدة ، والرفق بالعنف ؛ ولكن لم تمهله الحرب العظمى الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥م) التي قامت ، فوجدت الجيش الإيطالى ، في أفريقية الشرقية الإيطالية ، أكثر عدداً

(١) أحد القائدين الإيطاليين الذين اجتاحت الحبشة ، من الجنوب ومن الشمال ؛ والقائد الآخر المرشال بادوليو وهو قائد الجبهة الشمالية والسابق إلى العاصمة .

(٢) The Abyssinian Campaigns p. 12-13

وأوفى عدة ، من الجيوش البريطانية والفرنسية ، التي كانت موكولا إليها حراسة  
مستعمراتهما المحيطة بالحبشة .

وسرعان ما شعر الإيطاليون بقوتهم ، وتفوقهم الحربي ، فاجتازوا حدود السودان  
المصري ، واستولوا على كسلا ، وبعض الجهات السودانية الأخرى ، في يوليو



الحبشان يستقبلون الإمبراطور

سنة ١٩٤٠ . واجتازوا حدود الصومال البريطاني واستولوا على بربرا عاصمته  
في أغسطس سنة ١٩٤٠

ولكن فوز إيطاليا كان وشيك الزوال ، لأن سيده البحار ، وإنت غلبت ،  
في مبدأ النضال ، لا بد غالبية ، من بعد غلبها . ولم تكن سيادة البحر في يد إيطاليا  
وحلفائها ، فحوصرت في إفريقية وقل عدد جندها ، وانقطعت عنها الميرة ، والذخيرة ،  
وجاءت النجديات إلى سيده البحار من كل حدب ، فرجحت كفتها ، وانقلب المدافع  
مهاجماً ، واندفعت الجيوش البريطانية عبر حدود الحبشة ، والصومال ، وأرتريا ،  
فاستردت ما فقدت ، وأسقطت الامبراطورية الإيطالية ووصل النجاشي هيلاسلاس ،  
إلى عاصمة ملكه على فرس أبيض تحف به أسنة رماح أجنبية لا تزال فيها تلمع .  
وهي موعودة بالجلاء ، وبمغفد إلى البحر .

## جغرافية الحبشة

تقع الحبشة شرق السودان المصري الإنجليزي ، بين خطي عرض  $٤٥^\circ$  ش و  $١٥^\circ$  ش . ويفصلها عن البحر الأحمر ، إرتريا الواقعة شمالها ، وشرق شمالها . ويحول بينها وبين خليج عدن والمحيط الهندي ، بلاد الصومال . فهي لذلك مشبهة بسويسرا ، لحرمانها من السواحل البحرية ، ولعلو سطحها العظيم .

وتبلغ مساحتها نحو ٤٢٤٠٠٠ ميلاً مربعاً ( ١٠٩٠٠٠٠ كم م ) ، أو أكثر من مساحة المملكة المصرية بقليل .

ويبلغ عدد سكانها نحو ١٢ مليون نسمة ، زهاء نصفهم مسيحيون ، ونحو ثلثهم مسلمون ، والباقيون وثنيون ويهود<sup>(١)</sup> .

وهي مكونة من :

١ - هضبة عالية ، أساسها صخور أزلية (أركية) متحولة ، أكثرها من الميكا والشيست ، تملؤها في إقليم أديجرات ، في شمال الحبشة ، وغيره طبقات لاحقراوية<sup>(٢)</sup> من الخراسان الأبيض والأسمر ، تكونت في أواخر العصر الأول ، أو في أوائل العصر الثاني ، ويبلغ سمكها نحو ٣٠٠ متر ، ولقد انخفض بعضها ، في أواسط العصر الثاني ( الجورا ) فغمره البحر ، وتكونت في قاعه ، فوقها ، طبقات حقراوية<sup>(٣)</sup> ، من الكلس ، انحسر عنها الماء ، بعد حين<sup>(٤)</sup> ؛ فعملتها مجموعتان مختلفتان ، من الصخور البركانية ؛ كوتتها البراكين التي نشطت فيها ، أول مرة ، إثر انحسار البحر عنها ؛ ثم هدأت ، ثم نشطت مرة أخرى ؛ وفي أثناء فترة الهدوء تعرضت المجموعة السفلى ،

(١) هذا تقدير تنقصه الدقة ، إذ يقدر بعضهم المسلمين بأكثر من نصف سكان الحبشة .

(٢) خالية من الحفريات .

(٣) تحتوي على حفريات .

(٤) وتوجد حول تشابجا ، واديجرات طبقات من حاملات الفحم ، تشبه مثيلاتها في الهند .

ويطلق عليها مجموعة أشانجي . وهي مكونة<sup>(١)</sup> من بازلت ودولوريت . تعرضت إلى فعل الماء والهواء ، فتفضنت من بعد استواء نسبي . أما المجموعة العليا ، وتسمى مجموعة مجدلا ، فرصوة فوق السفلى ، رصماً أفقياً ، تنبع عنه مظاهر التضاريس السامية ، التي تتجلى بأجلى مظاهرها في وسط الهضبة . وتعلو المجموعة العليا ، طفوح بركانية ، حديثة التكوين . ( العصر الثالث ) تكثرت في جهات الهضبة الشرقية ، وفي الأصقاع ، المجاورة لبحيرة طانا ، ويسمى بعضها بعض الجيولوجيين طفوح عدن ، لوجودها ظاهرة في بعض جهات خليج عدن . وليس لهذه الطفوح نظام طباقى ظاهر ؛ ولكنها مكدسة تكديساً من غير نظام .

وتظهر هذه التكوينات الجيولوجية واضحة ، في المنحدر الشرقى للهضبة ، المشرف على سهول الدنا كل ، وفي أودية الأنهار العميقة ، وتظهر التكوينات السفلى القديمة ، على سطح الهضبة ، في أماكن كثيرة ، بفعل عوامل التعرية المختلفة . وتنقسم هذه الهضبة من حيث مظهرها إلى قسمين يفصلهما على وجه التقريب ، خط عرض أديس أبابا ، عاصمة البلاد .

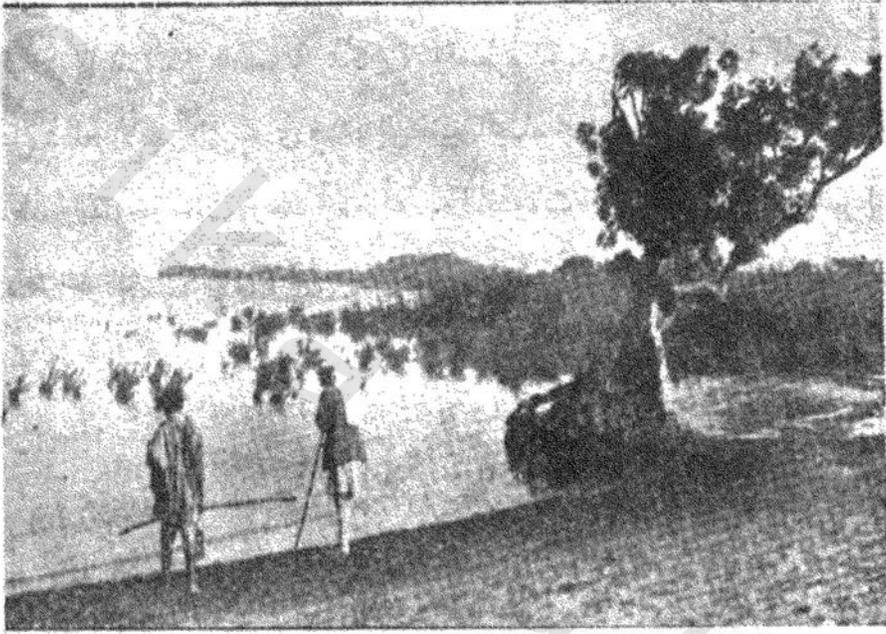
١ - القسم الشمالى ؛ وهو أشد وعورة ، وأخاديد وأوديته أكثر وأعمق من أخاديد وأودية القسم الجنوبى ؛ وهو وعرة المنحدر نحو سهول الدنا كل ، ( أفار ) الواقعة في شرقه ، وينحدر انحداراً سلمياً ، إلى سهول السودان ، الواقعة في شماله الغربى . والسلام العليا أشد انحداراً ، وأوعر من السلام السفلى . ولقد غير فعل المياه الجارية مظهر الهضبة فقسمتها الأخاديد العميقة التي يجرى فيها النيل الأزرق والعطبرة ، وروافدها ، وفروعها الكثيرة ، سيولا جارفة ، في أثناء طوفان موسم الفيضان ، والتي تتراوح أعماقها بين ٦٠٠ متر و ١٨٠٠ متر ، قسمتها نجاداً مستوية ، تحيط بها هوات

(١) مكونة من Trachytic rocks

ويتخلل هذه المجموعة تكوينات من الحراسان والطفل (Shales)



سحيقة ؛ فيعيش لذلك سكان هذه الهضبات في عزلة تامة بعضهم عن بعض ؛ وجبالا يربي ارتفاع قممها على ٤٠٠٠ متر ؛ وأشهرها وأعلاها رأس دهشان ( ٦٤٢٠ م ) في جبال سمين في شمال الهضبة ؛ وأغسيوس فاتراً ( ٤٢٠٠ م ) أعلى قمم جبال جوجام . وفي قلب هذه الجبال تقع بحيرة تانا الجميلة التي يصب فيها نحو ثلاثين نهراً ؛



بحيرة تانا ، منبع النيل الأزرق

تجري في أودية مكسوة بالغابات تنحدر إليها بين سلام جبلية ؛ وقد كونت بعض هذه النهيرات سهولا رسوبية أهمها سهلا دنبعة وفوجارا ؛ و يبلغ طول هذه البحيرة نحو ٥٠ ميلا ( نحو ٨٠ كم ) وعرضها نحو ٤٠ ميلا ( ٦٤ كم ) وارتفاعها على مستوى سطح البحر نحو ١٨٤٠ متراً ( ٦٠٠٠ قدما ) .

وفي البحيرة عدة جزر في بعضها أديرة يسكنها الرهبان .

ومن بحيرة تانا ينبع أبهى أو النيل الأزرق ، صانها بعض الصفاء . يخرج من طرفها الجنوبي الشرقي ، من منافذ ثلاثة ، لاعتراض بعض الجزر مجراه . ويجري

الموينا، تحف به الغدران والمستنقعات ، في قاع التواء أرضى ، (Fold) غير مرتفع الجوانب ، ويضيق مجراه ، ويندفع ماؤه ، في مواضع ؛ يعود بعدها فيتسع مجراه ، ويبطئ سيره إلى أن يصل إلى مساقط تيزيسات (Tisisat) حيث يثب ماؤه إلى أخدود عميق ، ضيق ، يزداد اتساعاً ، وعمقاً ، إلى أن يصبح وادياً ، أخدودياً عظيماً ، نخرماً يتلقى من اليمين والشمال ، روافد ، تجري في أودية عميقة ؛ تجعل السير على جانبي الوادى العظيم من الصعوبة بمكان ، وتضطره المقذوفات البركانية المكدسة ؛ على سطح الأقاليم التي يجري فيها ، إلى تغيير اتجاه مجراه عدة مرات ؛ راسماً دائرة عظيمة مفتوحة حيث توجد أضخم هذه المقذوفات البركانية ؛ ويجرى النهر آخر الأمر نحو الشمال الغربى ، حتى إذا وصل إلى حافة الهضبة الشمالية الغربية وثب منها وثبته الكبرى ، إلى سهول السودان ، ليبرى فيها ضعيفاً متهاكاً ، على بساط من نسجه .

ويجربى فى هذا القسم نهر العظيرة وفروعه . وأهمها تكازا الذى يجربى فى أخدود .

من أطول الأخاديد النهرية العالمية وأعماها ( عمقه ٧٠٠ م — ٩٠٠ م )

( ب ) القسم الجنوبى ، ويشمل مرتفعات الجبال ، وهو كما قدمنا أكثر استواء

من القسم الشمالى ؛ وتقل فيه الأخاديد العميقة . وتجربى فيه بعض نهيرات السوبات

( سبت ) حاملة بشار الفيزان للنيل الأبيض ، وكذلك نهر أومو الذى يجربى إلى

بحيرة رودلف . ويخترقه الأخدود الشرقى من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى .

وليس هذا الأخدود شقاً متصلاً ، ولكنه مكون من عدة أحواض داخلية ، يفصل

بعضها عن بعض أعناق مرتفعة ، ولكنها مع هذا منخفضة قليلاً عما يحيط بها

من الأرض ذات اليمين ، وذات الشمال . وتوجد فى قاع بعض هذه الأحواض

بحيرات أخدودية ؛ وفى طرفه الشمالى يجربى نهر الهواش نحو البحر الأحمر ، ولكنه ينتهى

إلى قرارة داخلية دونه ، وتشرف الحافتان الغربية ، والجنوبية ، لهذا القسم ، على نجد



كنيا ، وحوض بحر الجبل ، وتنحدر انحداراً وعمراً نحو بلاد الصومال .  
٢ — نجاد أوجادين والصومال ، وتمتد امتداداً كبيراً ، في جنوبي الهضبة ،  
وارتفاعها يتراوح بين ٦٠٠ متر و ٩٠٠ متر ، فهي لذلك قليلة الارتفاع ، إذا ماقيست  
بالهضبة ، وتنحدر بوجه عام نحو الجنوب الشرقي ، ويخترقها نهر الجب ( جوباً ) ،  
الذي يصب في المحيط الهندي بعد اختراقه الصومال الإيطالي ، ونهر شبيلي أووب شبيلي ،  
الذي يجري في الصومال الإيطالي أيضاً نحو المحيط ، ولكنه حين يقرب منه ، ولا يصير  
بينه ، وبينه إلا مقدار اثني عشر ميلاً ، تخنقه الكشبان الرملية وتسد عليه طريقه ،  
وتحول بينه وبين البحر فيجري نحو الجنوب الغربي محاذياً للشاطئ إلى أن ينتهي  
إلى مستنقع على مقربة من مصب نهر الجب .

### ٣ — سهول الدناكل ( آفار ) :

شرق الهضبة ، وهي سهول صحراوية واسعة ، تشبه صحراء أريزونا الأمريكية  
في تكوين سطحها الطفحي . وتتخلل هذه السهول جبال بركانية متفردة على شكل  
أقمار ، ومنخفضات يقل مستوى سطح بعضها عن مستوى سطح البحر ، وتفمرها  
المياه في موسم أمطارها الشتائي فتتحول إلى برك ومستنقعات تجف في فصل الجفاف<sup>(١)</sup>  
وهي بوجه عام ، منخفضة في الشمال ، وترتفع تدريجياً نحو الجنوب ، حيث يبلغ  
متوسط ارتفاعها نحو ٦٠٠ متر ، ويفصلها عن البحر الأحمر ، تلال إرتريا ، وعن نجاد  
أوجادين مرتفعات همر ، التي هي لسان ممتد ، من مرتفعات الجلا وينحدر انحداراً  
فجائياً نحوها ( السهول ) ، وانحداراً تدريجياً نحو نجاد أوجادين .

### ثروة الحبشة المعدنية :

يظن بعضهم ، أن ثروة الحبشة المعدنية وافرة ؛ ولكن لم يستغل منها إلا البوتاش ،

(١) يرى كندرو أن المطر ينزل فيها في الشتاء وفي الصيف على السواء ولكن أمطار الشتاء أكثر.

وقليل من الذهب ، والبلاتين ، والأحجار الكريمة . وقد كشف المهندسون الأوربيون عن الحديد والفحم والبتروول .

مناخ الحبشة ونباتها :

يختلف المناخ في الحبشة باختلاف ارتفاع المكان عن مستوى سطح البحر . فسهول الدناكل شديدة الحرارة والجفاف في الصيف ، ويسقط عليها في شتائها الحار قليل من المطر ، تلتقطه من البحر الأحمر ، الرياح التجارية الشمالية الشرقية التي تهب عليها ، فهي لذلك جذباء لا ينمو بها إلا الحشائش والشجيرات التي تنمو عادة في أشباه الصحراء : ولا تنبت الأشجار الكبيرة إلا في مجاري الأنهار العميقة . ولا تتأني الزراعة فيها إلا بالري ، وعلى مراعيها يربي الدناكل سكانها ، الأغنام ، والبقر ، والبغال ، والحير ، والجمال . ولذا كانت الجلود ، أهم مصدر للثروة ، ويلبها في الأهمية الصنع العربي ، الذي يجمع من أشجار السنط التي تنمو بكثرة فيها .

أما نجاد أوجادين والصومال فخارة في الصيف ، دفيئة في الشتاء ، أي أنها أقل حرارة ، من سهول الدناكل في أثناء الصيف والشتاء ، لعلاوها . وأما أمطارها فصيفية ، قليلة ، وغير مؤكدة النزول (uncertain) ولهذا فهي مراعي رديئة الكلاء ، وأهلها ، مثل الدناكل ، رعاة بقر ، وأغنام ، وجمال .

أما الهضبة فيقسمها بعض الجغرافيين ، من حيث حرارة هوائها ، ثلاثة أقسام مختلفة ، أساس اختلافها تبين ارتفاعها عن مستوى سطح البحر .

١ — قلة :

وهي أخفض أجزاء الهضبة ( أقصى ارتفاع لها ١٨٠٠ متر ) وتشمل جنوبها الغربي ، وبتون أوديتها العميقة ، وكذلك مرتفعات همر الجافة . ودرجة حرارة هواء القلة مرتفعة طول العام ، ومداهما اليومي والسنوي قليل جداً ، نتيجة لخفض الأمطار لها في الصيف ، وتشبه أودية الحبشة تهائم بلاد العرب في شدة حرارة هوائها

وركوده ، وهو فوق ذلك ، رطب ، قابض للنفس . ولهذا لا يطيق الحبشان سكنى هذه الأودية ، ولا يعبرونها إلا مكرهين .

جدول نمرة ١

توزيع الحرارة طول السنة

الشهر	أديس أبابا	هرر	الشهر	أديس أبابا	هرر
يناير	١٦٥٦°	١٨٥٨°	يولية	١٣٥٧°	١٨٥٨°
فبراير	١٥٥٣°	١٩٥٧°	أغسطس	١٤٥٩°	١٨٥٥°
مارس	١٧٥٨°	٢٠٥٥°	سبتمبر	١٤٥٤°	١٩٥٥°
أبريل	١٦٥٣°	٢٠٥٨°	أكتوبر	١٥٥٦°	٢٠٥٠°
مايو	١٧٥٣°	٢٠٥٨°	نوفمبر	١٦٥٣°	١٩٥٥°
يونية	١٥٥١°	٢٠٥٢°	ديسمبر	١٥٥٦°	١٩٥٥°
			المتوسط	١٥٥٧°	١٩٥٧°

٢ — القويناديجا (مرتفعات الكروم): ويتراوح ارتفاعها بين ١٨٠٠م و ٢٤٠٠م ودرجة حرارة هواء هذا الأقليم قلما تعدو حد الاعتدال لأنه إقليم وسط ، بين القلة الحارة ، والديجا الباردة ، وجهاته أكثر جهات الحبشة عمارة ، ومساحته لحسن الحظ تعدل مساحة الإقليمين المتطرفين أو تزيد .

٣ — الديجا ، أو إقليم المرتفعات : وهو ما زاد ارتفاعه على ٢٤٠٠ م وهو أبرد جهات الحبشة وأغزرها أمطارا ، ومن أقلها عمارة وسكانا .

والحبشة بلد المتناقضات المناخية . فصيفها أبرد من شتائها . والربيع أحر الفصول فيها ، وشتاؤها أدقاً من شتاء سهول السودان المنخفضة ، الواقعة في عروضها ، على الرغم من ارتفاعها العظيم .

ويعلل كندرو ، الظاهرة الأولى ، بأن تلبد سمائها بالسحب المتكاثفة ، ونزول

الأمطار المتدركة ، في فصل الصيف ، ينخفضان من درجة حرارة هوائه ، إلى مادون حرارة هواء الشتاء .

و يعلل الدكتور محمد عوض بك الظاهرة الأخيرة بأن الرياح التي تهب على الجهات الحبيشية التي لوحظ فيها ارتفاع في درجة حرارة شتائها ، ارتفاعا غير عادي ، جنوبية حارة ؛ على حين أن الرياح ، التي تهب على سهول السودان ، في هذا الفصل شمالية باردة نسبيا .

أما الظاهرة الثانية فظاهرة لا تحتاج إلى تعليل .

جدول نمرة ٢

توزيع الأمطار على أشهر السنة بالمليمتر

الشهور	أديس أبابا	جميلا	هرر	الشهور	أديس أبابا	جميلا	هرر
يناير	١٥	٧	٩	يولية	٢٧٩	٢٠٩	١٢٩
فبراير	٤٨	١٠	٣٢	أغسطس	٣٠٧	٢٣٧	١٦٠
مارس	٧٠	٣٦	٧٦	سبتمبر	١٩٢	١٨٩	٩٥
أبريل	٨٧	٧٩	١١٩	أكتوبر	٢٠	٨٦	٣٥
مايو	٧٥	١٥٢	١٢٦	نوفمبر	١٤	٤٠	١٥
يونية	١٤٦	١٨١	٩٠	ديسمبر	٦	١٣	١٠
				المجموع	١٢٣٩	١٢٥٩	٧٩٦

وتسقط الأمطار على هضبة الحبشة طول السنة ، ولكن توزيعها بين الشهور غير عادل ، ففي أديس أبابا يسقط في شهر أغسطس مطر أكثر مما يسقط في شهر ديسمبر ٥١ مرة؛ وأكثر الشهور مطراً، هي أشهر الصيف، ويسقط في أثنائها نحو ٨٠٪ من مجموع المطر السنوي ؛ وموسم المطر الغزير أطول في الجنوب منه في الشمال . وهذا هو السبب في أن السوبات يأتي بمقدمات الفيضان وبذبوله . وأغزر جهات الحبشة أمطاراً ، هي غرب الهضبة وجنوبها الغربي ، وفيها منابع روافد السوبات والنيل الأزرق

والمطربة ومجاريها العليا . ويقل المطر في جهاتها الشمالية القصوى ، ويتضاءل في جنوب شرق الحبشة أى في نجد أوجادين والصومال .

### أسباب أمطار الحبشة الصيفية :

لقد كان يظن — بل ويمتد — إلى عهد قريب أن سبب أمطار الحبشة الصيفية هو بخار الماء الذى تلتقطه من المحيط الهندى ، الرياح التجارية الجنوبية الشرقية <sup>(١)</sup> ، التى تدخل القارة جنوبى خط الاستواء ، وتتوغل داخل القارة حتى إذا عبرت خط الاستواء ، انحرفت نحو الشرق ، وأصبحت جنوبية غربية ، وكان يقرن زيادة هذه الأمطار ، وعلو فيضان النيل ، أو نقصها وانخفاض الفيضان بأمطار الهند الموسمية وقد وضع الآن جليا ، أن هذه الرياح عند انتقالها من المحيط الهندى ، إلى قارة إفريقية ، تصطدم بحافة الهضبة الشرقية ، فتضطرها إلى الارتفاع ، فتبرد ، فيتكاثف جل ما تحمله من بخار الماء على السهول الساحلية وسفوح الحافة ، وتصبح إذا ما وغلّت في داخل القارة جافة . فلا يمكن والحال هذه أن تكون مصدراً لأمطار الحبشة الصيفية .

وإذا لم يكن مصدر أمطار الحبشة الصيفية المحيط الهندى ! فما مصدرها إذن ؟ إن مصدرها في رأى المستر كريج مدير إدارة الظواهر الجوية بمصر سابقاً بخار الماء الذى تحمله الرياح الجنوبية الغربية الموسمية من المحيط الاطلنطى ، وأصل هذه الرياح فى رأيه ، الرياح التجارية الجنوبية الشرقية ، التى تتحول بعد عبورها خط الاستواء ، رياحاً جنوبية غربية ، متأثرة بالانخفاض العظيم على بلاد العرب . فتدخل القارة من سواحل خليج غانا ، وتتوغل فيها ، مارّة بالكنغو والكرون ، ثم السودان المصرى . وتختتم مطافها بهضبة الحبشة ، فتعلوها ، فتبرد ، وتسكب عليها ماءها .

(١) كان على رأس القائمين بهذه النظرية البرهنى ليونز مدير الساحة المصرية سابقاً .

ولقد أيد هذا الرأي جمهرة من علماء المتيور ولوجيا<sup>(١)</sup> . غير أن الأستاذ محمود حامد وصاحبه ، مؤلفي كتاب اكتشاف مصدر فيضان النيل ،<sup>(٢)</sup> يريان أن هذه الرياح ، وإن كانت عاملاً هاماً في أمطار الحبشة الصيفية ، غير كافية وحدها لإحداث هذه الأمطار المتدركة . وقد كشفنا بعد دراسة مستفيضة للأرصاد الجوية لقارة أفريقية شمالي خط الاستواء ، والمحيط ؛ وبخاصة في جهاتها الغربية وفي جهات المحيط الأطلنطي المجاور لها تيارات هوائية باردة ، تتكون في المحيط الأطلنطي ، فوق تيار قناريا تتبعه في سيره نحو الجنوب يراز الساحل ، حتى إذا ما وصلت السنغال انحرفت نحو الشرق ودخلت القارة على شكل جهات هوائية يعلو بعضها بعضاً ، ووغلت فيها مارة بالسودان الغربي حتى إذا وصلت دار فور ، وعدتها ، هبطت حوض بحر الغزال ، وسارت فيه نحو الجنوب الشرقي ، حتى إذا اصطدمت بمنحدر هضبة الحبشة ، انعطفت نحو الشمال ، لتبتغي مسلكاً سهلاً تهلوه فيه إلى سطح الهضبة ، وتجد المسلك السهل ، التي تبحث عنه في شمال الهضبة ، وتسير على سطحها نحو الجنوب ، وبعد أن تستقط ماءها عليه تهبط الصومال جافة ساخنة ، صادرة الرياح ، التي تحاول حمل الماء إليه من المحيط الهندي ، فنذرت لذلك الأمطار على بلاد الصومال ، فأجذبت لذلك أرضها . وعندما تهبط هذه الرياح على بلاد الصومال تسير نحو الشرق متأثرة بانخفاض ثانوي ثابت على خليج عدن .

توزيع النبات في الهضبة :

١ - نبات القلة

تنمو في القلة غابات حارة (Tropical) تختلف كثافتها باختلاف غزارة المطر ، وفي هذه الغابات أنواع كثيرة من الأشجار المدارية ، كالأبنوس والمطاط ، واللوز ، والنيلة البرية ، والتمر الهندي في المواطن الكثيرة المطر ، وشجيرات البن ، ونخيل

(١) من أمثال السير تيرشو ، والسير جليبرت .

(٢) راجع كتاب اكتشاف مصدر فيضان النيل للأستاذ محمود حامد وزميله .

البلح وشجر السنط، في البقاع الجافة والمرتمة؛ والبن هو أهم محصول طبيعي ومزروع في الحبشة، وينمو شجره بكثرة في مقاطعة كاثا، في جنوب الحبشة الغربي، وفي مقاطعة هرر. وحبوب البن الحبشى شديدة الشبه بحبوب البن اليمنى. ويصدر منه مقادير كبيرة إلى الخارج، عن طريق جيبوتي أو السودان المصرى الإنجليزى، كما يزرع في بعض أجزائها القطن وقصب السكر.



#### زراعة البن في الحبشة

ويعيش في القلة الفيلة والأسود والفهود وجر الوحش والظرافات، وتدب في أنحائها الحيات الهائلة والعقارب اللاذعة.

نبات القيناديجا:

وتكسو أرض الديجا الحشائش التي تنضج في أثناء نزول الأمطار وإثر نزولها، وتجف في أواخر موسم الجفاف فيطلق الحبشان فيها النيران، وتربى على مراعى القيناديجا الخصبية ملايين الأغنام والأبقار. وقد كانت تتخللها الغابات الواسعة، ولكن الأهلين الحبشتم — ١٠

اجتثوا معظمها ، ولا يزال يغطي كثيراً من أرض الجلا غابات كثيفة وأهم أشجار هذا الإقليم الخيزران والجيز والشربين .

كما تنمو فيه شجيرات فواكه البحر المتوسط كالتين والزيتون والبرتقال والكرام والبرقوق ، كما تزرع فيه الحبوب كالقمح والذرة والطف والشعير .  
وتقصر الحشائش وتردأ وتقل الأشجار ، في الأنحاء الشمالية لقلة الأمطار ، وقصر موسمها هناك .

ويعيش في هذا الإقليم فوق البقر والبغال والخيول والحمر والجمال ، القروم والضباع والغزلان .  
نبات الديجا :

أرض الديجا مغطاة بالحشائش والشجيرات ، وتظهر في أحيائه العليا نبات الجبال أو النباتات الألبية ، ويزرع فيه القمح والشعير إلى ارتفاع ٢٧٠٠ متر أو يزيد ، وتربي على مراعيه الماشية والأغنام ذات الأصواف الطويلة والمعزى ، ويرتدى سكانه جلود الضأن اتقاء برده القارس .

والزراعة في الحبشة متأخرة ، ومحصولاتها ، إذا استثنينا البن ، لا تصل إلى الأسواق الخارجية .

وأهم ما تصدره الحبشة البن ، والجلود على اختلاف أنواعها ، والعاج ، والصمغ ، والطيب ، والمسك المستخرج من قط الزيد .

ولا يوجد في الحبشة مصانع حديثة ، ولكن بها صناعات منزلية كثيرة ، كنسج القطن ، وصنع الفخار والأدوات الفضية والذهبية وبعض الآلات الحديدية الأولية .  
طرق المواصلات والنقل :

كانت الطرق بمعناها الحديث غير موجودة قبل الحرب الحبشية الإيطالية الأخيرة ، وكانت تستخدم في المضاب العالية ، عجلات تجرها الثيران ، وكذلك

البغال ، والجمال ، فى الركوب ، ونقل البضائع . وفى صراع أوجادين ، يربى نوع جيد من الجمال عليها حول السكان . وأهم طريق للمواصلات ، هى سكة حديد جيبوتى الفرنسية . وهى تصل أديس أبابا ، بميناء جيبوتى ، عاصمة الصومال الفرنسى . ومسافة ما بينهما ، نحو ٧٩٥ كيلومتر ، يقطعها القطار فى ثلاثة أيام ؛ ولا تسير القطار إلا نهاراً ، خوف اللصوص وقطاع الطرق ؛ ويبرح قطران كل أسبوع من أديس أبابا إلى جيبوتى ، ومثلها ، من جيبوتى إلى أديس أبابا .

وأهم منافذ التجارة الحبشية ، بعد سكة حديد جيبوتى ما يأتى : —

١ — الطريق التى تخرج من أديس أبابا ، مغربية إلى جيبالا على السوبات ، حيث أنشأت الحكومة السودانية ، محطة تجارية فيها ، تبدأ منها بواخر نيلية تسير فى السوبات ثم فى النيل الأبيض إلى الخرطوم ، فى أثناء أشهر الصيف .

٢ — الطريق من أديس أبابا إلى هرر ، ومنها إلى بربرا ، عاصمة الصومال البريطانى ، وجل تجارته من هرر .

بلدان الحبشة :

بلدان الحبشة ، قرى منبثة ، فى أنحائها المختلفة ، بجوار الأجمات والأدغال ، وما يسمو منها إلى مرتبة المدن ، والمدن الصغيرة ، لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وأهمها وأحراها بالذكر أديس أبابا ، عاصمة البلاد وهرر ، عاصمة الحبشة الإسلامية ، ودير داوه ، وجندار .

أديس أبابا :

كانت عواصم الحبشة القديمة محلات مؤقتة ، يقيم فيها الملك وجنوده ، وكانت عادة ، على رهوة منغزلة ، مغطاة بالأشجار لتكون مستودعا للوقود ، ومحصنة تحصيناً طبيعياً ، ولا تلبث أن تنمو تلك المحلات فتصبح قرى . وإذا ما نفذ حطب الوقود ،

وأصبح الحصول عليه صعباً ، نقلت العاصمة إلى مكان آخر ، يكثر فيه الشجر ، وهكذا دواليك .

وهكذا كان شأن أديس أبابا أو الزهرة الجديدة ، فإن الإمبراطور منليك الثاني مؤسسها ، حل بقسم من تلال أنتتو (Entotto) المغطاة بالغابات ، هو وجنوده ، وحاشيته سنة ١٨٩٢ م . وسرعان ما آوى إليه التجار ، وأصحاب الحوانيت ، وأصبحت محج ذوى الحاجات . وفي هذا الوقت بدأت دول الغرب تهتم بأمر الحبشة ، فأرسلت إليها البعث التجارية ، والسياسية ، ووفد عليها القناصل والوزراء المفوضون ، وبنوا دوراً فخمة لم تعدها الحبشة من قبل ، ليسكنوها أو يتخذوها مقراً لأعمالهم ، وجاءها كثير من الأرمن واليهود واليونان والعرب ، وبنوا مخازن للتجارة ؛ وشرعت الحكومة الفرنسية في مد خط سكة حديد جيبوتى نحو العاصمة الجديدة . ولكن الأشجار التى كانت تستعمل وقوداً بدأت تتوارى ، ففكر ولاية الأمور الحبشان فى نقل العاصمة إلى مكان فيه شجر ، فعارض فى ذلك النزلاء الأجانب ، والقناصل ، والوزراء المفوضون ، محتجين بما صرفوه من مال ، فى تشييد الدور والمخازن ، والحوانيت واقترح بعضهم على الإمبراطور أن يزرع مكان الشجر المجتث ، نوعاً من شجر الكافور فاستوردت فسائله من استراليا ، وزرع فيما نماء حسناً ، وبذلك حلت مشكلة الوقود ، وقرت أديس أبابا ، أو الزهرة الجديدة ، فى مكانها إلى ما شاء الله لها أن تستقر ، ورست جزورها فى الأرض ، وترامت أطرافها حتى أصبحت بلداناً فى بلد واحد وبلغ عدد سكانها ثمانين ألفاً ونيف .

هرر :

كانت عاصمة إحدى المقاطعات السبع التى كانت تكون إمبراطورية زيلع ، التى أسسها العرب ، والتى كانت تسمى دولة عادل ؛ تلك الدولة التى بلغت من القوة والمنعة شأواً ناهضت به إمبراطورية النجاشى فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

ولما استولى العثمانيون ، في أوائل القرن السادس عشر على زيلع ، انتقلت إدارة الملك ومقعد التاج إلى هرر في سنة ١٥٢١م ، ثم لم تلبث أن قويت ساعد سلطان هرر ، بما أمده الأتراك به من ذخيرة ، وعتاد . فاصطدم بالحيشان ، وغزا بلادهم ، وكاد يتم له الاستيلاء عليها ، لولا أن سارع البرتغاليون ، إلى نصرة إخوانهم في الدين ، فردوا الغزاة على أعقابهم ، وتقلصت أملاك سلطان هرر ، وضعت قوته حتى أوشك لا يسيطر إلا على سكان المدينة نفسها . وفي سنة ١٨٧٥م ضمت هرر إلى الإمبراطورية المصرية بعد أن هزم رعوف باشا القائد المصرى الظفر ، الجلاء ، ودخل المدينة فاتحاً في ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥م<sup>(١)</sup> .

ولم يكفد يخلص الأمر لرعوف باشا حتى بدأ يدرس أحوال البلاد من قريب أو بعيد ، فوضح له أن الأمن مختل ، فعمل على استنباؤه ، وأن الطرق التجارية متهمة ، فسوّاها . « وجعلها صالحة للسربات وأنشأ عليها محطات عسكرية مزودة بالماء .. وقد ساعد إنشاء المحطات في تعميم التجارة ، حتى أن القوافل التي كانت تصل من الساحل إلى هرر ، في عصر الأسراء ، وكان عددها لا يزيد على السبعين ، صار عددها أربعمائة في السنة ، في عهد الإدارة المصرية ، وكان من عوامل انتشار التجارة في البلاد حلول العملة المصرية محل البديل ، أو عملة الأمير التي كانت قليلة الانتشار لا قيمة لها<sup>(٢)</sup> » .

لقد وضع لرعوف باشا أيضاً أن أجود الأرض يور فشجع الأهالي على زراعتها « وكان يلجأ إلى القوة أحياناً ليرغمهم عليها ، وقد وزع الأراضي بينهم ، فكان الجراد ( أو العمدة ) يقد عليه ويقدم له خمس بقرات كضريبة فيمنحه قنطاراً من الشيت ، وطاية وعمامة من بفتة بيضاء ، ويرسل معه مندوباً من قبله يحدد له ألف فدان

(١) الدكتور محمد صبرى : مصر في أزمنة التفرقة : هرر وزيلع : و بربره ص ٦٥

(٢) الدكتور صبرى : ص ٦٦

لاستثمارها ، وكان الملاق ( أو شيخ البلد ) يحضر بقرتين فيعممه بأربعة أذرع ،  
ويحدد له خمسمائة فدان<sup>(١)</sup> .



رءوف باشا فاتح هرر

(١) الدكتور محمد صبرى : شرق أفريقيا الخ ص ٦٧ — ٦٨

ولم تقف همه رءوف باشا عند الزراعة ، فوجه عنايته إلى الصناعة ، فرقى وسائلها فجاد إنتاجها وإلى تجميل المدينة فشيّد دوراً كثيرة للمصالح الحكومية المختلفة وبيوتاً للموظفين .

ورأى خلف رءوف باشا ، أن المدينة ينقصها الماء الصالح للشرب ، فساقه إليها من عيون قريبة<sup>(١)</sup> .

ولقد زار أحد الرحالين الايطاليين المدينة في إبّان الحكم المصري ، فسره ما رآه من إصلاح ، وتقدم ، ونظام ؛ وفي ذلك يقول : إن حالتها المعنوية تطابق حالتها المادية ؛ وإن المصريين تبدو عليهم سيماء الفاتحين ، الرافعين لواء الحصار إذ يعلمون الأطفال القراءة والكتابة ، والفتيان الصلاة والشريعة السمحاء ، ولا ينكر إنسان أن الطريقة التي يتعمدون بها الأمن ، في المدينة وضواحيها ، جديرة بكل إعجاب وإطراء ، ومن التحسينات الكبيرة التي أدخلوها النظام القضائي الذي أصبح — على الضد من نظام الأمراء السابقين — يقضى بالعدل من غير هوادة ولا إبطاء .

وهمر تقع على الصفحة الشرقية للتلال المسماة باسمها على ارتفاع ١٧٠٠ متر ، تحف بها التلال المشجرة ، وتحقق بها البساتين الياض ، والحقول الخضراء ؛ ويحيط بها سور غير منتظم تتخلله أبواب كبيرة . وبيوتها مربعة الشكل مبنية من أحجار الجرانيت ، وأحجار الجير ، وأكبر بناء فيها مسجدها الجامع ، ويزيد سكانها على الثلاثين ألفاً .

ولأهل همر لفة خاصة بهم ، والمهرريون سمر الوجوه ، وفي سمرتهم صفرة ، ولهم لحي قصيرة وأطراف كبيرة .

ويعيش في الحقول المجاوزة لهرر بعض قبائل الجلا ، الذين تحدثنا عنهم في غير هذا المكان .

(١) الدكتور صبرى : ص ٦٢ - ٦٥



رجل وزوجته من أهل هرر

وههر بلد تجارى كبير كانت مشهورة فى الماضى بتجارة الرقيق ، وتشتهر اليوم بالانجار فى العاج ، والبن ، والتبغ ، والسفرون ، والمنسوجات القطنية ، والقمح والصفع ، والشحم والعلس .

وهرر من أهم أوساط زراعة البن وإنتاجه فى الحبشة . والبن الهررى جيد جداً ، ولا يفوقه فى الجودة إلا البن اليمنى .

وقد نقل العرب بزور البن اليمنى إلى هرر وزرعوه فى حقولها فجاء ، وأنتج محصولاً عظيماً . ومن الغريب أن موطن البن الأصلى إقليم كافا ، إحدى المقاطعات الحبشية الجنوبية الغربية ، وقد كشفه العرب فنقلوه إلى اليمن ، ومنها نقل إلى البرازيل وجهات العالم الأخرى ، التى يزرع فيها البن الآن ، ومنها هرر .

وفى كافا غابات واسعة من البن ، تنمو هناك من غير أن يزرعها زارع ، أو يعنى بها معتن ؛ ولذلك يسقط من ثمرها آلاف الأطنان على الأرض يختلط بأديمها . ويستغل الأهلون بعض أطراف هذه الغابات الواسعة؛ ويصدرون ما يجنون إلى أسواق مصر والسودان .

## تعقيب

اليوم (١١/٢/١٩٤٧) هو يوم أغر محجل ، قد كمل الكتاب في صورة نحمد الله على توفيقنا فيها ، ونشكر لأصحاب الفضل وهم أكثر في تهذيب ألوانها وتدييج حواشيتها فلقد أوحى بفكرتها فتاة حبشية سمراء ، ولكنها وسيمة الطلعة ثم أسارىر وجهها عن كرم عنصرها ، وشرف محتدها ، وقعت في أسر القلاشة ولما تبلغ من العمر ثلاثة عشرة فأذاقوها صنوف العذاب وألوان النكال مالا يخطر بقلب بشر، ثم تلقفتها أيدي النخاسة ، وتناولاتها البيوت والأسواق حتى انتهت بها خاتمة المطاف إلى دار أبي بعد أن كف بصرها ، فعاشرت في ماضيها أكثر من حاضرها ، فعاودتها ذكراه قوية واضحة وقصت قصصه بيننا مؤثراً ، وكنت إذ ذاك صبياً بين الأمر والضرب ، فأنطبع في ذاكرتي .

وكر الزمن . وحملى طلب العلم في سنة ١٩٢٥ إلى إنجلترا : ودفعني الولع باقتناء الكتب إلى أكبر دار تبيع الكتب القديمة في لندن . ، فعثرت فيها على كتاب عن القلاشة فذكرت قصة الحبشية الحسناء ، فقرأته بشغف ، فوجدته مصدقاً لما قصته علينا، ولم أكد أفرغ من مطالعة هذا الكتاب حتى تولدت عندي الرغبة في الاطلاع على كل كتاب يمت موضوعه إلى الحبشة بصلة قريبة أو بعيدة، ووجدت ضالتي في دار الكتب البريطانية . . . . .

وكر الزمن : . . . . . وفي سنة ١٩٤٠ كنت ناظراً لمدرسة الزقازيق الثانوية ، ونحونا نحواً جديداً في موضوعات مجلة المدرسة من شأنه أن يحفز التلاميذ والمدرسين إلى دراسة إقليدسهم ، وتضافروا في إخراج كتاب الشقية ؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وكان فتحاً مبيناً ، استمرأه الذين ساهموا في تأليف الكتاب ، وأجمعوا أمرهم على إصدار كتب عن الشعوب المختلفة .

واخترت أنا الكتابة في الحبشة ، ورجعت إلى مذكراتي ، فألفت بينها ، ولكن وزارة المعارف لم تهملنا حتى نكمل ما بدأنا ، فحملت مذكراتي معي إلى مصر ، وتناولتها بعد ذلك بالإضافة ، والتنسيق والصقل حتى تكونت لجنة البيان العربي وكنفت من أعضائها ، فأقرت طبعها تحت عنوان « الحبشة » فخرج في ثوب قشيب لم ينسج على منواله .

فإلى جميع المؤلفين والرحالين والرواد الذين نقلت عنهم ، وإلى أصدقائي الذين استعنت بهم في تصحيح بعض هباته أكرر شكرى ، راجياً أن يجزيهم الله عنا خير الجزاء ، وينفع به أبناء وادى النيل في ظل مليكنا المفدى « فاروق الأول » حفظه الله وأدام ملكه وعزه ، فإن في عزه عز الوطن .

المؤلف

---